Tel. : 2741235. 2741272
Fax : 91-522-2741221, 2741231

RNI No.(U.P.ARA/2000/2341)
Regd. No. LW-NP/642006 To 2008

AL-BAAS-EL-ISLAMI

(Vol. 51, Issue-7) Monthly (April - May 2006)

إصدارات جديدة:

أسس اللغة العربية

لتعليم غير الناطقين بها

الكتاب بأجزائه الثلاثة يضم فيضاً وافراً من علوم اللغة العربية، بأسلوب سهل، وعبارة واضحة

إعداد

الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي — الدكتور محسن العثماني الندوي

الأستاذ محمد نعمان الدين الندوي — سيد عبد الماجد الغوري الندوي

إشراف وتوجيه

فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله عباس الندوي

أستاذ الأدب العربي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة سابقاً
ومدير الأبحاث للشئون العلمية في دار العلوم ندوة العلماء، الهند.

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد ٥١

العدد الثامن : جمادى الأولى ١٤٢٧هـ : يونيو ٢٠٠٦م

- الغرب لا مناص له من الإسلام
- موقفان متعارضان بين صراع ولقاء
- المحدث محمد يوسف البنوري وكتابه ...
- خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم
- ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
- حقيقة التوكل على الله
- أحكام الهدية في الاسلام

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند الهاتف: ٢٧٤١٢٣٥-٥٢٢-٠٠٩١
Albaas-el Islami Mallis Sahafat wan Nashr

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية أدبية جامعة

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني
-رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

المجلد الحادي والخمسون

رئاسة التحرير
سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

العدد الثامن
جمادى الأولى ١٤٢٧هـ
يونيو ٢٠٠٦م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء و دار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي رح)

ALBAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS-E-SAHAFAT-WA-NASHRIYAT
P.O. Box : 93, Taigor Marg, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
Ph.: 0522-2741235
Fax: 0522-2741221/2741231

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)
الهاتف : ٠٥٢٢-٢٧٤١٢٣٥
الفاكس : ٠٥٢٢-٢٧٤١٢٢١

العبقري المطلوب !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عملياً ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعّمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالدٍ ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - منهجاً جديداً يجدر بالغرب تقليده وتقديره ، ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع .

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة و الزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام .

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

◆ في الهند
مأتا روبية ٢٠٠/٠٠
ثمن النسخة : ٢٠/روبية

◆ في العالم العربي
وفي جميع دول العالم :
٢٥/دولاراً بالبريد العادي
و ٤٠/دولاراً بالبريد الجوي

***

المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)

و ذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT
WA NASHRIYAT
P.O.Box : 93, LUCKNOW (U.P.)
Pin : 226 007 (INDIA)

***

محتويات العدد

الافتتاحية :

الغرب ، لا مناص له من الإسلام ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

التوجيه الإسلامي :

ولقد يسّرنا القرآن للذكر ، فهل من مدكر — د/عدنان علي رضا النحوي — ٩

حقيقة التوكل على الله — د/محمد بن سعد الشويعر — ١٨

الموقف من الآخر (إسلامياً وحضارياً) — أ.د/عبد الحليم عويس — ٢٤

الدعـــوة الإسلامية :

خصائص الرسول ﷺ في ضوء القرآن والسنة الصحيحة — الأستاذ محمد الرابع نوراني البدوي — ٣٤

أحكام الهدية في الإسلام — أ/الشيخ إبراهيم بن عبد الله المزروعي — ٤١

رجال من التاريخ المعاصر :

المحدث محمد يوسف البنوري وكتابه : معارف السنن ... — أ.د/ولي الدين تقي الدين الندوي — ٥٠

الفقه الإسلامي :

جريمة الزنا وأثرها في مسألة المصاهرة — أ.د/مسعود أحمد الأعظمي — ٦٣

دراسات و ابحـــاث :

الكتابة العربية — أ.د/محمد السيد علي البلاسي — ٦٩

أساس اللغة العربية — أ.د/محسن عثماني الندوي — ٧٣

الهند ضد الاستعمار البريطاني ، وعلاقتها بالإسلام — الأستاذ محمد راشد كمال الندوي — ٧٨

صـــور و اوضـــاع :

موقفان متعارضان بين صراع ولقاء — الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي — ٨٤

بقـــلم القراء :

المصالح الأمريكية في آسيا الوسطى — الأخ محمد فرمان الندوي — ٨٩

اخبار علمية و ادبية :

"الحركات الإسلامية في شبه القارة الهندية" (رسالة دكتوراة) — عرض وتقديم : محمد سلمان خان الندوي — ٩١

رابطة الأدب الإسلامي العالمية تعقد ندوة أدبية — مكتب الرابطة — ٩٤

إلى رحمة الله تعالى :

البروفيسور إقبال وارث الندوي ، في ذمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٨

رحيل الشيخ عبد اللطيف الشايع في الكويت ، إلى رحمة الله تعالى — .... — ٩٩

المستشار سالم البهنساوي ، في ذمة الله تعالى — .... — ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

الغرب
لا مناص له من الإسلام

حساسية المسلم نحو دينه واقع لا يخرج عن حدود الاعتراف بالنعمة ، فكل من أكرم بنعمة الإسلام والتزم بتعاليمه وشريعته ، إيماناً بأنه دين كامل عادل ودائم يتفق وطبيعة الإنسان ويساعده في الوصول إلى أعلى قمة من السعادة والعز والطمأنينة في جميع الظروف ، إنما يشعر بنوع من المسئولية حيثما رأى إساءة إلى دين الإسلام أو نبي الإسلام أو استهزاء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والاستهانة بآياته والسخرية من رموز الدين اللامعة ، ويواجه كل ذلك بالاستنكار الشديد ، والرد عليه بجميع صوره السلمية في ضوء العلم والواقع ، ولقد تتابعت حلقات من سلسلة العداء للدين الإسلامي و تشويه وجهه المشرق وتسويد حضارته النقية البيضاء في الغرب اليوم ، مما جعل الأمة الإسلامية في قلق ، وأثار فيها الغيرة على دينها التي تمثلت بأشكال شتى ، فالمظاهرات التي شملت الأمة الإسلامية بكافة طوائفها ، ضد الإساءة الإجرامية إلى رسولنا العظيم محمد ﷺ ، موشر كبير على أن الغيرة الإيمانية لن تتحمل أي جريمة تمس الثوابت العقدية ، وتنال من أساس الدين ، وتخطط بغاية من الدقة والتعمق لهدم القيم الإنسانية وطمس معالم الحضارة الإسلامية .

ولما كان الغزو الفكري وسيلة علمية بطيئة للتوصل إلى الهدف المنشود وكذلك حركة الاستشراق والتحريف في المصادر الإسلامية ،

وعملية التبشير بالنصرانية ، وحشر الوسائل المغرية من المال وتوفير فرص التعليم والعلاج في المناطق التي يسكنها المسلمون ، لم تثمر النتائج السريعة والتأثير المطلوب ، أُضيف إليها الغزو العسكري في عواصم العالم الإسلامي والتدخل في بلدان المسلمين ، والسيطرة على منابع القوة والذخائر الحيوية فيها بدءاً من الغزو العراقي في الكويت الذي كان في الأصل ذريعة للغزو الأمريكي في العراق وأفغانستان ، وما قصة التدخل الغربي في دارفور بالسودان بسرّ على الناس ، وذلك عدا التهديدات الموجهة إلى إيران والشام من الولايات المتحدة ، بل العالم الإسلامي كله مهدد بالغزو والتدخل العسكري ، الذي هو مصحوب بسلاح "حرية التعبير" وقد أشهر هذا السلاح في وجه الثوابت الإيمانية والأسس العقدية كما قد شهده العالم كله ، من خلال الرسوم الكاريكاتيرية التي تولاها بعض العملاء المأجورين في الدانمارك ، واستهدفوا شخصية رسولنا الحبيب ﷺ الذي يفديه المسلمون بأرواحهم ومهجهم ، ويحبونه بكل ما لديهم من عواطف الحب والفداء ، ويرون الإساءة إلى ذاته موجبة للقتل بحكم الإيمان .

زد إلى هتاف "حرية التعبير" هتاف "حرية المرأة" وتسويتها بالرجل ، وإقامتها مع الرجل في جميع الشئون ، من الاختلاط بهم في المجالس والبيوت والأسواق ، ومشاركتها في البرامج المختلطة في النوادي الليلية ، والمبيت مع الأجانب ، والوقوف على أبواب المتاجر لجلب الزبائن إليها للتسوق ، وتحويل المجتمعات البشرية إلى المواخير علناً وجهاراً ، حيث يتربص ذئاب بشرية بممارسة الشهوات الجنسية من غير خوف ولا حياء ، هذا عدا ما تُكلَّف به المرأة من أعمال شاقة لا تكون بوسعها ، أو وظائف لا تليق بأنوثتها .

لم يكتف الغرب بتهوين شأن المرأة وحطّها إلى أسفل درك من الذلة والشقاء ، وإنما أراد أن يستخدمها لتشويه صورة المنهج الإسلامي للحياة ، ويتخذها ذريعة للعبث بما قرره الإسلام من مسئوليات تختص بها ، والاستهزاء بأركان الإسلام وأحكام الشريعة فنادى بارتفاع منزلة المرأة المسلمة وكونها مساوية للرجال المسلمين ، حتى وقف بها موقف الإمامة في الصلاة ، وفعلا أمت المرأة المسلمة اجتماعاً مختلطاً في إحدى المناسبات بإشراف من عملاء يهود الغرب ، وهكذا تمت للغرب السخرية من ذلك الركن العظيم الذي يعتبر حداً فاصلاً بين الكفر والإسلام .

أما القرآن الكريم الذي : ﴿ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ * وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ * تَنْزِيْلٌ مِّنْ حَكِيْمٍ حَمِيْدٍ ﴾ فوضعه الغرب موضع هزل واستهزاء ولم يدخر وسعاً في تحريف آياته وسوره والعبث بأحكامه وتعاليمه ، كما قد تحدثتُ عن ذلك في العدد التاسع لمجلة "البعث الإسلامي" للمجلد الثالث والأربعين ، وسيكون من المناسب جداً أن أُعيد هنا ما جاء في افتتاحية العدد من عبارة حول هذه الجراءة التي قام بها عملاء اليهود من تحريف وتشويه ، وسخرية وإهانة لا مثيل لهما في التاريخ :

"ولعل من أسوأ ما يمارسه الغرب المادي في مجال تحريف التعاليم الإسلامية وتشويه الحقائق الغيبية ، وهدم المعالم الإسلامية ما قد عبث بعدد من سور القرآن الكريم التي غير نصوصها وآياتها بعبارات زائفة ، وجمل ساخرة ، وجعلها موضع سخرية واستهزاء ، ثم ضمنها برامج الإعلام السريع عبر شبكة الإنترنت ، لكي تكون بمتناول يد كل إنسان في كل بلد من بلدان العالم الإسلامي وخارجه

على السواء ، وهو يثير بذلك حفائظ عامة المسلمين ، ويتحدى غيرة علمائهم ودعاتهم ومفكريهم ، وتلك جرأة ما بعدها جرأة ، و وقاحة لا تعادلها وقاحة ، فإن المسلمين مهما كانوا ، لا يستطيعون أن يتحملوها ويصرفوا أنظارهم عنها ، دون استيلاء واستنكار شديدين لهذه العملية الخبيثة التي تمس عقائد الإسلام الأساسية والثوابت الإيمانية .

إن الغرب المادي الراعن المناوئ للإسلام لم يطلق هذا السهم الأخير من جعبته إلا ظناً منه بأن الطريق الوحيد لهدم الإسلام والقضاء عليه نهائياً هو تحريف القرآن الكريم وتزييف أصالته والعبث بآياته ونصوصه ، ذاك أن أعداء الإسلام جربوا مراراً بأن الإسلام لا يزول ما دام المصحف (القرآن الكريم) موجوداً في صورته الأصلية ، ونصوصه الواقعية ، ولذلك فإنهم منذ أمد بعيد يبذلون محاولات جادة لتحقيق أحلامهم حول كتاب الله تعالى ، ولا غرابة فيما إذا كانت الجهود مرتكزة على إيجاد وسيلة إعلامية كمثل : (إنترنت) تساعدهم على التحريف والتزوير وتشويه صورة الإسلام الجميلة النقية الزكية بالنيل من شخصية النبي الكريم ﷺ والسخرية من الحقائق الإيمانية الغيبية ومبادئ الدين الحنيف ومنهجه الشامل الكامل الخالد إلى يوم الدين" .

ولم يكتفوا بهذه المؤامرة بل اخترعوا (مصحفاً) قرآنا مشوهاً باسم "الفرقان الحق" الذي وزع في الكويت وبعض البلدان الإسلامية على أوسع نطاق ، وليس ذلك إلا عملاً شيطانياً خبيثاً قام به مجموعة من الشياطين ، ممن امتزجت العداوة ضد الإسلام وكتاب الله وسنة رسوله ﷺ بلحومهم ودمائهم فيعتمدون إشفاء لغليل الانتقام على الأكاذيب والافتراءات وينسبونها إلى الله تعالى (تعالى الله عن ذلك) وهم يريدون مخادعة المسلمين بتسمية عملهم الخبيث (الفرقان

الحق) ، وقد صدر عن دارين أمريكيتين (Omega Press) (Wine Press) ، وليس في هذا المصحف المزعوم إلا أباطيل وأكاذيب ومزاعم فاسدة صدرت من مرضى القلوب ، ومن أشد الناس عداوة لدين الله و للمؤمنين ، وهل هم إلا اليهود والمشركون ، يقول الله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا الْيَهُوْدَ وَالَّذِيْنَ أَشْرَكُوْا ﴾ (١) .

وأطلق آخر سهم للصد عن سبيل الله وبناء السد العالي لمنع تيار الإسلام الذي يغزو القلوب ، ويدفع المحرومين نعمة الإسلام إلى الأخذ منها بلهفة وشوق ، فمما يعلم الجميع أن الغرب كله مقبل على الإسلام بالاقتناع والدراسة العميقة بعدما جرب أهله جميع الأنظمة والفلسفات الحضارية وعاشوا يتطلعون إلى ما ينجيهم من لفحات الحضارات المادية وطعمها المرّ ، ولعل هذا الإقبال المتزايد السريع نحو الاهتداء إلى الإسلام ، أقلق قلوب المناوئين وزادهم مرضاً على مرض ، وأعمت أبصارهم عن رؤية العواقب المتجلية التي أدركتهم بغتة بفعل المقاطعة الاقتصادية للبضائع الدانمركية وما إليها ، عقب الإساءات المتتالية بنشر رسوم كاريكاتيرية لخاتم النبيين سيد الأنبياء والمرسلين عليه ألف ألف تحية وسلام ، ولو استمر الغرب على هذه الإساءة والإصرار على النيل من شأن الأنبياء ورموز الدين الكبار، لكان فيه إيذان بنهاية الغرب المادي أو تحوله إلى الإسلام مائة في المائة ، بمشيئة الله تعالى .

فمن الإيجابيات التي أحدثت هذه السفالة أن أثار في جماهير الغرب تساؤلاً عما إذا كانت شخصية رسول الإسلام ﷺ على قمة

(١) من أراد التفصيل فليراجع العدد الأول والثاني لمجلة : "البعث الإسلامي" ؛ المجلد/٥٠ ، المقال المنشور بعنوان : (ما أعظم الجراءة على الله) بقلم سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر .

من العز والشرف، حيث لا يطيق أي مسلم مهما كان، صرف النظر عن الغضبة الشديدة على هذه العملية القذرة ويتحد المسلمون كلهم في كل بقعة من العالم على اختلاف أجناسهم وأوطانهم ضد الإهانة التي ظهرت في أوربا أخيراً، ونتيجة ذلك الاتحاد الإسلامي الذي شهده العالم كله شرقاً وغرباً عم الشعور بمعرفة الأسباب التي أثارت هذه الموجة الشديدة من الغضب على الإساءة التي ظهرت منذ مدة قليلة وقام المسلمون كلهم كجسد واحد كرد فعل لها.

وفعلاً كان هناك إقبال كبير على أن يجد الناس إجابة شافية مقنعة على التساؤلات التي ثارت في نفوسهم من خلال أزمة الإهانة وعملية البذاءة حول شخصية الرسول الحبيب ﷺ، ففي فرنسا وحدها أصبح اسمه ﷺ حديث الأسر والنوادي، والناس يبحثون عن كتب إسلامية وكتب السيرة التي تتحدث عن حياته ﷺ، في الغرب كله، ومن ثم ينجذبون نحو الإسلام اعتقاداً منهم بأنه دين حي ذو منهج طبيعي دائم للحياة الإنسانية ورسالة خالدة للبشرية جمعاء.

فكلما زاد الغرب في العناد والإساءة والتخطيط لمحاربة دين الفطرة وسد منابع الحياة فيه والقضاء على مصداقيته، وإخراج هيبته من القلوب، وتضييق نطاق تفاعله مع الحياة والإنسان والكون، كلما ركز الغرب طاقته على هدم نقطة الإسلام المحورية التي يدور حولها العالم البشري بكامله، سقط في الحضيض وفقد مكانته، ومُني بالخيبة والفشل الذريع، وعوقب بالهوان والخسران، والذل والعار، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُوْنَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ * لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَ ﴾.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

سعيد الأعظمي

١٤٢٧/٢/٢٩هـ

التوجيه الإسلامي :

ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر

بقلم : الدكتور عدنان علي رضا النحوي

إن الله سبحانه وتعالى أنزل هذا القرآن للناس كافة، وبعث محمداً ﷺ خاتم النبيين رحمة للعالمين، للناس كافة، للإنس والجنّ، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يريد من عباده جميعهم أن يؤمنوا به وأن يعبدوه وحده لا يُشركون به شيئاً، ولذلك أنزل الله هذا القرآن الكريم وجعله مُيسّراً للذكر، للتلاوة والتدبّر والالتزام، للناس كافة، وليس لقوم دون قوم، فكيف كان هذا التيسير للذكر ؟! وما هي خصائص هذا التيسير.

لابد أن نذكر أنّ الله قد بعث قبل النبوة الخاتمة في كل أمة رسولاً يدعو إلى رسالة التوحيد، إلى دين الإسلام، دين جميع الأنبياء والرسل:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِيْ كُلِّ أُمَّةٍ رَسُوْلاً أَن اعْبُدُوْا اللهَ * وَاجْتَنِبُوْا الطَّاغُوْتَ * فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللهُ * وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ * فَسِيْرُوْا فِيْ الأَرْضِ * فَانْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِيْنَ ﴾ (النحل/٣٦).

وجاءت آيات أخرى وأحاديث تثبّت هذا المعنى، حتى أصبحت حقائق الإيمان والتوحيد ثابتة في التاريخ البشريّ، لا يُحرّفها إلا الضّالون، وكان كل نبي يُرسل بلسان قومه ليبيّن لهم:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُوْلٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ * فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَّشَاءُ * وَيَهْدِيْ مَنْ يَّشَاءُ * وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ﴾ (إبراهيم/٤).

وتتابع الرسل مع الزمن كله منذ نوح عليه السلام في كل أمة يحملون

ديناً واحداً من عند الله ، كان كله بحكمة بالغة من الله سبحانه وتعالى ، حتى لا يبقى لأحـد عـذر في عـدم اتبـاع هـذا الديـن الواحـد ، ديـن الإسلام :

﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ لِئَلاَّ يَكُوْنُ لِلنَّـاسِ عَلَـى اللهِ حُجَّـةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ * وَكَانَ اللهُ عَزِيْزاً حَكِيْماً ﴾ (النساء/١٦٥) .

إذن ثبتت الرسالة في التاريخ البشريّ ثبوتاً يقطع الحجـة علـى الناس كلهم إن أدبروا ولم يتّبعوا .

فجاءت الرسـالة الخاتمـة مصدّقـة لمـا بينـها ومهيمنـة عليـــه ، والبشرية كلها لديها علم سابق بهذا الدين الحنيف بما بعـث الله مـن رسول في كل أمة ، فلم يكن الرسول الكريمُ ﷺ بدعاً من الرسل :

﴿ قُلْ : مَا كُنْتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ * وَمَا أَدْرِيْ مَا يُفْعَـلُ بِـيْ وَلاَ بِكُمْ * إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوْحَى إِلَيَّ * وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌ ﴾ (الأحقاف/٩).

فلعل هذا التاريخ الطويل من الرسل كان رحمةً من الله بعباده ، وتمهيداً لمجيء الرسالة الخاتمة والرسول الخاتم ، وليكون ذلك بفضـل الله ورحمته تيسيراً للرسـالة الخاتمـة ، وليحمـل القـرآن الكريـم بابـاً مـن أبواب التيسير ، ولكنه ليس التيسير الوحيد ، فرحمـة الله ظلـت ممتـدة مع هذه الرسالة الخاتمة والكتاب الخاتم والرسـول الخـاتم لتوفّـر أسـباب التيسير جميعها ، لأنه أنزل للناس جميعاً ، للبشرية كلها .

يقول ابن عطية في تفسـيره : "يسـرنا القـرآن" معنـاه سـهّلناه وقرّبناه ، "للذكر" أي للحفظ عن ظـهر قلـب ، وقـال ابـن جبـير : لم يُسْتظهرْ من كتب الله تعالى سوى القرآن الكريم ، وقـال القـاضي أبـو محمد رحمه الله : يُسّر بما فيه من حسن النظم وشرف المعنى ، فله لوطـة "التصاق" بالقلوب وامتزاج بالعقول السليمة .

ويقول ابن كثير في تفسيره : سـهلنا لفظـه ويسـرنا معنـاه لمـن

أراده ليتذكر الناس ، كما قال سبحانه وتعالى :

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوْا آيَاتِهِ * وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُـوْا الأَلْبَابَ ﴾ (ص/٢٩) .

وكما قال سبحانه وتعالى :

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِيْـنَ * وَتُنْـذِرَ بِـهِ قَوْمـاً لُّدّاً ﴾ (مريم/٩٧) .

وقال الضحاك عن ابن عباس : لو لا أن يسر تلاوته الله علـى لسان الآدميين ما استطاع أحد مـن الخلـق أن يتكلّـم بكـلام الله ﷻ ، قلتُ ومن تيسيره تعالى على الناس تلاوة القرآن مـا تقـدّم عـن النـبي الكريم ﷺ أنه قال : "إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ..." .

وفي تفسير الطبري يقول عن التيسير الذي عَنَتْهُ هذه الآية الكريمـة : سهّلنا القرآن ، بيّناه وفصلناه ، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ، وهوّناه .

ولا شكّ أن هـذه التـأويلات حقيقـة ، فقـد سـهّل الله تلاوتـه وبيّنه وفصّله .

ولكنْ هناك نقاط نودّ أن نثيرها بصـدد هـذا التيسـير العظيـم الذي منّ الله به علينا في تلاوة القرآن الكريم وتدبّـره وحفظـه وبُغيَـة ممارسته في واقع الحياة ، كلّ قـدر وسـعه الصـادق الـذي سيحاسـبه الله عليه يوم القيامة ، يوم يضع الله الموازين القسط .

= **النقطة الأولى :**

هي أنّ الله أنزل هذا القرآن الكريم للناس كافـة ، لأن النـاس كلهم مكلفون بالإيمان والتوحيد وعبادة الله وحده دون شرك :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ * فَمَنِ اهْتَدَى * فَلِنَفْسِهِ * وَمَنْ ضَلَّ * فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا * وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيْلٍ ﴾ (الزمر/١٥٨) .

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاس ! إِنِّيْ رَسُوْلُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيْعـاً * الَّـذِيْ لَـهُ مُلْـكُ

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ * لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ * يُحْيِي وَيُمِيْتُ * فَآمِنُوْا بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ النَّبِيِّ الَّذِيْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ * وَاتَّبِعُوْهُ لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ ﴾ (الأعراف/١٥٨) .

= النقطة الثانية :

هي أن هذا القرآن معجز كل الإعجاز ، معجز للبشر والجن جميعهم ، فلو اجتمعوا كلهم ليأتوا بمثل هذا القرآن ما قدروا على ذلك :

﴿ قُلْ : لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَّأْتُوْا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ * لاَ يَأْتُوْنَ بِمِثْلِهِ * وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيْراً ﴾ (الإسراء/٨٨).

= النقطة الثالثة :

هي أن من آيات إعجازه أن جعله الله مُيسّراً للذكر ، و وفّر في إعجازه هذا التيسير للناس كافة .

= النقطة الرابعة :

هي أن جعل الله سبحانه وتعالى لكتابه الكريم مفتاحين ، من حازهما وجد التيسير في كتاب الله ، وفتحه الله له ويسره عليه للذكر ، وهذان المفتاحان هما : **صفاء الإيمان وصدقه ، ومعرفة اللغة العربية وإتقانها** ، ولقد بيّن لنا الله سبحانه وتعالى حقيقة هذين المفتاحين في كتابه الكريم .

أما صفاء الإيمان وصدقه ، فقد توالت الآيات الكريمة توضح هذا الأمر العظيم وتبيّنه ، وتبيّن أثره في فهم القرآن وتدبره والسعي لممارسته في الواقع البشري ، فمن هذه الآيات الكريمة :

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّسْتَمِعُ إِلَيْكَ * وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوْبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَّفْقَهُوْهُ * وَفِيْ آذَانِهِمْ وَقْراً * وَإِنْ يَّرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوْا بِهَا * حَتَّى إِذَا جَاءُوْكَ يُجَادِلُوْنَكَ * يَقُوْلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا * إِنْ هَـذَا إِلاَّ أَسَاطِيْرُ الأَوَّلِيْنَ ﴾ (الأنعام/٢٥) .

وكذلك :

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِيْنَ لاَ يُؤْمِنُوْنَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوْراً * وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوْبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَّفْقَهُوْهُ * وَفِيْ آذَانِهِمْ وَقْراً * وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ * وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوْراً ﴾ (الإسراء/٤٦) .

وكذلك :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَّرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ * وَلاَ يَزِيْدُ الظَّالِمِيْنَ إِلاَّ خَسَاراً ﴾ (الإسراء/٨٢) .

وكذلك :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ * فَأَعْرَضَ عَنْهَا * وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ * إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوْبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَّفْقَهُوْهُ * وَفِيْ آذَانِهِمْ وَقْراً * وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى * فَلَنْ يَّهْتَدُوْا إِذاً أَبَداً ﴾ (الكهف/٥٧) .

وكذلك :

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوْا لَوْ لاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ * أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ * قُلْ : هُوَ لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا هُدىً وَّشِفَاءٌ * وَالَّذِيْنَ لاَ يُؤْمِنُوْنَ فِيْ آذَانِهِمْ وَقْرٌ * وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً * أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيْدٍ ﴾ (فصلت/٤٤) .

نلاحظ من هذه الآيات كم أكد سبحانه وتعالى هذا المعنى الهام في كتابه الكريم ، على أنها حقيقة ربانية يريد الله سبحانه وتعالى أن تثبت في القلوب والنفوس ، ومحورها أن القرآن الكريم تُفتح معانيه للمؤمنين ، فيسّره الله لهم للذكر ، ليكون لهم هدىً وشفاءً ، وأما الكافرون فيجعل الله في قلوبهم أكنّة تحول دون فهمهم لكتاب الله ، و يجعل في آذانهم وقراً يحول دون بلوغ آيات الله إلى مسامعهم وقلوبهم ، فلا يجدونه ميسّراً ، وذلك بكفرهم وإصرارهم على الكفر .

فصفاء الإيمان شرط ليكون القرآن الكريم مُيسّراً للذكر ،

وهذا هو المفتاح الأول .

أما المفتاح الثاني : هو معرفة اللغة العربية وإتقانها ، فقد أكد الله سبحانه وتعالى لعباده هذه الحقيقة في كتابه الكريم بآيات كثيرة :

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُوْلُوْنَ : إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِيْ يُلْحِدُوْنَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ * وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِيْنٌ ﴾ (النحل/١٠٣) .

فكتاب الله لا يكون قرآناً يُتعبَّد به إلا باللغة العربية ، فإن تُرْجِم فهو ليس كلام الله ولا تصحُّ به العبادة ، ولا تكون معانيه دقيقة كما أرادها الله ، وإنما هو محاولة لتفسير معانيه بجهد بشريّ لمن لا يعرف اللغة العربية ، وفي هذه الحالة يفقد صفة الإعجاز الكاملة بعد أن أصبح جهداً بشرياً ، ومن هنا تصبح معرفة اللغة العربية شرطاً لفهم كتاب الله ، وشرطاً للعبادة ، وشرطاً لتوافر صفة التيسير التي جعلها الله في كتابه الكريم .

وكذلك :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ ﴾ (يوسف/٢) .

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً * وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ * مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَّلَا وَاقٍ ﴾ (الرعد/٣٧) .

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً * وَّصَرَّفْنَا فِيْهِ مِنَ الْوَعِيْدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً ﴾ (طه/١١٣) .

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِيْ هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَ * قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِيْ عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ ﴾ (الزمر/٢٧-٢٨) .

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ ﴾ (الزخرف/٣) .

﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَ ﴾ (فصلت/٣) .

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى * وَمَنْ حَوْلَهَا * وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيْهِ فَرِيْقٌ فِي الْجَنَّةِ * وَفَرِيْقٌ فِي السَّعِيْرِ ﴾ (الشورى/٧) .

﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوْسَى إِمَاماً وَّرَحْمَةً * وَّهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنْذِرَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا * وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِيْنَ ﴾ (الأحقاف/١٢) .

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيْلُ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الْأَمِيْنُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُنْذِرِيْنَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِيْنٍ ﴾ (الشعراء/١٩٢-١٩٥) .

فلقد اختار الله سبحانه وتعالى اللغةَ العربية لتكون لغة الرسالة الخاتمة ، لغة الوحي ، لغة القرآن ، لغة النبوة ، لقد كانت قبل ذلك لغة خاصة بالعرب ، ولكنها مع الوحي المتنزل بها أصبحت لغة كل مسلم ، لغة الأمة المسلمة مهما امتدت واتسعت ، لغة الإنسان ، ذلك لأن فيها من الخصائص ما لا يتوافر بأي لغة أخرى .

ولقد تطورت هذه اللغة حتى أخذت شكلها الحالي ببيانها وبلاغتها ، وبقواعدها ونحوها وصرفها ، وعروضها وأوزان شعرها وقوافيه ، فبلغت أعلى درجات النضج والنمو والتطور ، لتثبت عليه ، ولتكون لغة الأجيال المؤمنة الممتدّة إلى يوم القيامة ، ليتيسّر لهم جميعاً تلاوة القرآن وتدبّره وحفظه ، ولتظل نعمة الله ورحمته بتيسير القرآن للذكر ممتدة مع الزمن كله .

وبدراسة الآيات الكريمة التي سبق ذكرها ندرك حقيقة التأكيد الذي أراده الله سبحانه وتعالى بتكرار هذا المعنى والوظيفة للغة العربية ، آيةً بعد آية ، لتبرز هذه الحقيقة العظيمة .

وربما كانت اللغة العربية في مراحلها المختلفة في تاريخ نموها وتطورها لغة الأنبياء والمرسلين الذين ظهروا في الجزيرة العربية ، وربما خارجها ، حتى كانت لغة النبيّ الخاتم محمد ﷺ ، وهي في ذروة نضجها وتطورها ، ومن الثابت أن لغة النبي صالح عليه السلام وقومه ثمود كانت اللغة العربية في مرحلة من مراحل نموها (١) .

(١) يراجع كتاب : "لماذا اللغة العربية" – للدكتور عدنان النحوي .

وربطت الآيات الكريمة السابقة فهم القرآن الكريم وتدبّره وعقلهُ باللغة العربية وحدها : **"لعلكم تعقلون"** ، وربطت الآيات الكريمة النذرَ والوعيدَ ، والتذكيرَ ، وبابَ التقوى : **"لعلهم يتقون"** ، وباب التذكير : **"لعلهم يتذكرون"** ، وباب البشرى والإحسان : **"... لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين"** !

وهذه الخصائص كلها تحملها اللغة العربية بلسان عربي مبين ، خصائص تحملها اللغة العربية للبشرية كلها ، لكل قوم ، للإنس والجن ، لتقدّم بهذه الخصائص التيسير الذي أراده الله سبحانه وتعالى ليكون في كتابه الكريم .

فهذان هما المفتاحان لكتاب الله : **صفاء الإيمان وصدقه ، واللغة العربية** ، كما بينت لنا الآيات الكريمة ، وبهما وبما يوفران من الخصائص ينشأ التيسير لتلاوة القرآن الكريم وتدبره وحفظه وممارسته ، إنها نعمة كبيرة من الله !

= النقطة الخامسة - معنى الذكر ومداه :

"ولقد يسرنا القرآن للذكر" ! فهذا هو هدف التيسير الذي يريده الله سبحانه وتعالى ، ولا شك أن أول معاني الذكر في هذه الآية الكريمة هو تلاوته وتدبره ، ولكن لا يقف الأمر عند ذلك ، ولا يكون معنى الذكر قد استُكْمِل بذلك ، ولكن يمتد معنى "الذكر" إلى حفظه وممارسته في واقع الحياة ، والممارسة الإيمانية المطلوبة لا تتم إلا بعد التلاوة الصادقة والتدبّر الأمين والحفظ ، على أن يكون هذا في حدود الوسع الصادق الذي وهبه الله لهذا الإنسان وذاك ، والذي سيحاسبه الله عليه يوم القيامة .

ولا يحمل القرآن الكريم من التكاليف إلا ما هو في حدود الوسع الصادق ، وقد خلق الله عباده وهو أعلم بالوسع الصادق لكل إنسان ، فمن ادّعى عجزه عن تكليف هو في حدود وسعه الصادق ،

فإنما جَعَل لنفسه وسعاً كاذباً لن ينجيه عند الله ، فالله أعلم بما شرع من تكاليف وبما وهب من وسع لكل إنسان :

﴿ وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا * وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَّنْطِقُ بِالْحَقِّ * وَهُمْ لاَ يُظْلَمُوْنَ ﴾ (المؤمنون/٦٢) .

فهو الكتاب الذي يُبيّن فيه وسع كل إنسان ، وسعه الصادق وما يُطيق وما لا يُطيق ، ولا يُظلَم أحد عند الله .

وكذلك :

﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا * لَهَا مَا كَسَبَتْ * وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ * رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا ... ﴾ (البقرة/٢٨٦) .

وكيف يكون هنالك ذكر لكتاب الله إذا لم تكن هناك ممارسة إيمانية في واقع الحياة ، ممارسة قائمة على صفاء الإيمان وصدق العلم بمنهاج الله - قرآناً وسنةً ولغةً عربيةً - ، ونابعة من حسن التلاوة وسلامة التدبر وأمانة الحفظ كل قدر وسعه الصادق .

= النقطة السادسة - فهل من مدّكر ؟!

الله سبحانه وتعالى يخاطب الإنسان ، الناس جميعاً ، ويقول أنزلت لكم هذا القرآن العظيم ، وبعثت لكم خاتم الأنبياء والمرسلين محمداً ﷺ ويسّرت لكم تلاوته وتدبّره وحفظه لتعملوا به وتمارسوه في واقع الحياة ، أنزلت لكم هذه النعم لتتذكروا فضل الله عليكم ورحمته وعقابه ، وتنهضوا إلى ما أمركم به ، فهل منكم من أحد ينهض يتذكر فضل الله هذا ويستجيب لأمر الله ؟!

ويظل هذا النداء مدوِّياً في الكون ، يقرع الآذان والقلوب ، ليتوب من يتوب الله عليه ، ويُدْبر من كتب الله عليه الضلالة .

اللّهم اهدنا واهد قلوبنا واشرح صدورنا وأنرْ بصائرها وأعنا على ما كلفتنا به ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .والحمد لله رب العالمين

***

حقيقة التوكل على الله

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة : "البحوث الإسلامية - الرياض)

يقول ﷺ حاثّاً أصحابه ، و الأمة لهم تبع بحسن التوكل على الله : "لو تتوكلون على الله حقّ التوكل لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً - جائعة - ، وتروح بطاناً ممتلئه البطون من الشّبع" .

وما ذلك إلا أن الطيور بأنواعها ، لا تختزن أقواتها من يوم ليوم آخر ، ولا تلقى مشقّة ، وكبير عناء في البحث عن قوتها .

حيث يلاحظ كل متابع سعي الطير ، من الصباح الباكر ، لالتقاط رزقها بما يشبعها ، ثم إن كان لها فراخ عاجزة عن السعي ، حيث لم تزل في أوكارها ، يسخّر الله لها من يأتيها بقوتها ، في كل يوم بما يشبعها سواء من الأم أو الأب .

ولو كان الإنسان يدرك لغتها ، كما علّمها سبحانه لسليمان ابن داؤد عليه السلام ، لأدركنا العجائب عند العجماوات كلها : من طائر وزاحف وحيوان ، وخاصّة في حسن التوكل ، واستفدنا من حقيقته عند هذه الكائنات ، التي هي عالم مثلنا .

وقد يظهر لنا - والله أعلم - من العلوم الأخرى ، أيّاً كان نوعها ، مهما كبر أو صغر ، أن حقيقة التوكل عندها أمكن مما هي لدى كثير من البشر ، مع أنها غير مكلفة بتشريع ، وقد فضل الله الإنسان عليها و كرمه ، و هذا يفهم من دلالة حديث رسول الله السابق .

إن كلمة التوكل ، التي قد تكررت مع مشتقاتها ، في كتاب الله

الكريم أكثر من ثمانين مرّة أكدها يعقوب عليه السلام في قوله لبنيه ، و وصيته لهم : ﴿ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ * إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ * وَعَلَيْهِ * فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (يوسف/٦٧) .

وقالها كل نبي من أنبياء الله ، في دعوته لقومه ، وتكررت في الحثّ عليها بسنة رسول الله ﷺ .

هذه الكلمة الصغيرة في حروفها ، الخفيفة في نطقها ، يمرّ بها كثير من الناس مروراً عفوياً ، لا عمق فيه ولا تأمل ، بل يرددها بعض البشر من مسلمين وغير مسلمين ، تقليداً ومحاكاةً ، فهل أدركوا حقيقتها ، حسبما أدركها الطّير ، وما يجب أن تنطوي عليه أعمال الإنسان ، حتى يكون قريباً من الله ، ليعينه سبحانه ويسهّل أمره ، لأن من توكّل على الله كفاه .

فما أكثر ما نسمعها على الألسنة ؛ كما يجرى كثير من الكلام في المجتمعات : توكلنا على الله ، وبعضهم ينطقها توكلنا ، وهذه الكلمة على ثلاثة مسارات : إمّا عبادة يؤجر عليها ، أو شركاً يعاقب عليه ، أو عادة لا هذا ولا ذاك ، وذلك بحسب النيّة ..

وحتى تكون عبادة يؤجر عليها الإنسان في دنياه وأخراه ، فإنه لابدّ أن تكون نيته صادقة ، وفهم دقيق لما تعنيه ، حتى يحصل على الثمرة المرجوّة ، ويتأثر بها غيره علماً نافعاً ، انطلاقاً من دلالة حديث رسول الله ﷺ الذي رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وجاء فيه : "إنما الأعمال بالنيات ؛ وإنّما لكل امرئ ما نوى" وهذا الحديث قاعدة عامة في جميع الأعمال .

ذلك أن العمل المقبول عند الله ، ويؤجر عليه صاحبه ، ما كان بنيّة صادقة ، وعمل مخلص فيه لله ، مع عقيدة التوحيد التي هي مدار الأعمال كلّها ، المقصود بها وجه الله : رجاء ثوابه وخوفاً من عقابه .

فالتوكل على الله معناه : تفويض الأمور إليه سبحانه ، والاعتماد عليه ، فهو يخرج من بيته ، متوكلاً على الله ، يصوم متوكلاً على الله ؛ يصلي متوكلاً على الله ، يحج متوكلاً على الله ، يعتمد عليه لا على أحد سواه ، في أداء هذه الأمور وغيرها ، ولا على نفسه وقدرته ، بل توكّله على الله بأن يعينه على أداء العبادات : ترغيباً ومحبةً في قلبه ، وتحملاً وإعانةً في بدنه وكذلك يخرج لبيعه وشرائه ، ولحرثه وزراعته ، ولتجارته وصناعته ، ولشئونه كلها متوكلاً على الله ، وسائلاً منه العون والتوفيق ، مع بذل الأسباب ، التي يستلزمها كل عمل من هذه الأعمال .

فلا يقول توكّلت على الله ، ولا يعمل ، كما قال عمر بن الخطاب ﷺ : لا يقل أحدكم ، ربّ أرزقني ولا يعمل ، فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضةً ، ولكن يعمل السبب ، والله يهيئ له بحسن التوكل ما يحقق مطلبه .

جاء في القاموس المحيط هذا التعريف : وحقيقة التوكل : إظهار العجز في نفسه والاعتماد على الله في قلبه هذا في عرف اللغة ، وعند أهل الحقيقة : هو الثّقة بما عند الله تعالى ، واليأس مما في أيدي الناس ، ويقال : المتوكل على الله الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره ، فيركن إليه وحده ، ولا يتوكل على غيره (٨/١٥٩-١٦٠) .

ذلك أن الله سبحانه ، يحبّ من عبده حسن التوكل وتفويض أمره إليه ، وهو يتيقّن ، أن لا يسير إلا ما يسّره الله ، ولا رزق إلاّ ما قدّره الله له ، عن عقيدة وصدق : فإن الله يكفيه ، ويليّن له قلوب الآخرين ، فيحسّ بنتيجة ذلك : ثقلاً يخفّ عن كاهله ، بما سلكه الله له في قلوب من يتعامل معهم : رأفةً وتعاوناً وتسهيلاً .

يذكرني في هذا الموقف : مقالة نسبت لعبد الرحمن بن عوف

الصحابي الجليل ﷺ ، فإنه بعد ما أسلم وهاجر إلى المدينة ، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين رجل من الأنصار ، فأراد الرجل أن يكرم ضيف رسول الله ﷺ ، كما عمل الأنصار مع من هاجر إليهم ، لأنهم يحبّون من هاجر إليهم ، ولا يبخلون بما ينفقون عليهم من أموالهم ، لأنها أخوة في الله ، وبتوجيه من رسول الله ﷺ .

فبادر الأنصاريّ لعبد الرحمن لمقاسمته ماله ، وأن يطلّق إحدى زوجته ، ليتزوّجها بعد العدة ، فقال له عبد الرحمن الذي جاء مهاجراً لله ، تاركاً ماله بمكة ، نافذاً بجلده حماية لدينه : بارك الله لك في مالك وزوجك ، لا أريد شيئاً من ذلك ، إنني متوكل على الله ، الذي هاجرت له ، فراراً بديني ، ولكن دلّني على السوق ، لأبيع واشترى ، فزاول ﷺ العمل متاجراً مع الناس في السوق ، فنما - بحسن التوكل على الله - المال في يديه ، نماءً كثيراً .

ولما سأل عمر ﷺ : عن نظرته للدنيا ، وهل هو متعلّق بها ، أجابه قائلاً : يا أمير المؤمنين ما وصل إلي من الدنيا - على كثرته - فليس ذلك بجهدي وذكائي ، ولكنني متوكل على الله ، فأهرب من الدنيا ، وهي تأتيني راغمة ، إنني عندما أدخل المسجد : لأداء ما أوجب الله عليّ أخلعها من قلبي ، كما أخلع نعليّ هاتين ، ولا أتعلّق بها .

ولما سأله عمر : كيف تأتيك وأنت تهرب منها ؟ قال بثقة المتوكل على الله ، حقّ التوكل ، سترى وأعدّ بضاعة من تمر المدينة ، وأرسلها أحمالاً لتجلب على البصرة ، وهي موطن التمور ، وبلاد النخيل ، وصادق مع وصولها انتشار الحمى عندهم ، فكل من أكل من تمر المدينة ؛ الذي أرسله عبد الرحمن بن عوف شفي بإذن الله ، وانتشر الخبر عند الناس هناك ، فتسابقوا على الشراء ، حتى نفدت بضاعته ، فرجع رجاله بالنتيجة والأرباح الجيّدة .

و جاء عبد الرحمن إلى عمر رضي الله عنهما ، و أخبره بما حصل ، وقال : ألم تر أنها هي التي تأتي إلي ، فتعجب عمر وقال : هكذا يكون الإيمان ، فهو مؤمن حقيقي ، يقرأ كلام الله ، ويسمع حديث رسول الله ﷺ ؛ فيدخل قلبه فهماً ، ويطبّقه عملاً .

ألم يخبرنا الله سبحانه في قصة قارون ، وما أعطاه الله من مال فنسي حق الله فيه ، وزاده الغني طغياناً وغروراً ، وعن أصحاب الجنّة في سورة القلم الذين أقسموا ليصرمنّها مصبحين ، مع إصرارهم منع حق الفقراء فيها تحايلاً ، ونسوا التوكل على الله ، فخسف الله بقارون وماله ، وأصبحت الجنّة عندما جاء أصحابها إليها خاوية على عروشها، لأن من حسن التوكل على الله ، عدم البخل وأداء حقّه لعباده .

وهكذا غيرهم في كل زمان ومكان ، ممن يغترّ بقوته وجبروته ، وينسى أمر الله فينساه الله ويعاقبه عن غفلته ، وكما أخبر الله عن قوم هود الذين قالوا : من أشدّ منا قوّة ، وتجاهلوا قوة الله غروراً وعجباً ، فأهلكهم الله بالريح العقيم ما تذر شيئاً إلا جعلته كالرميم .

🕮 صبر الأنبياء وتحملهم :

أورد السيوطي في تفسيره أن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سئل رسول الله ﷺ : أيّ آية أنزلت من السماء أشدّ عليك ؟ فقال : كنت بمنى أيام موسم الحج ، واجتمع مشركو العرب ، وأفناء الناس في الموسم ، فنزل عليّ جبريل فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُوْلُ ! بَلِّغْ * مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ * وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ * فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ * وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (المائدة/٦٧) .

قال : فقمت عند العقبة فناديت : يا أيها الناس ! من ينصرني على أن أبلغ رسالة ربي ولكم الجنة ، أيها الناس ! قولوا : لا إله إلا الله ، وأنا رسول الله إليكم ، وتنجحوا ولكم الجنة ، قال : فما بقي

رجل ولا امرأة ولا صبيّ ، إلا يرمون عليّ بالتراب والحجارة ، ويبصقون في وجهي ، ويقولون : كذّاب صابئ ، فعرض عليّ عارض ؛ فقال : يا محمد ! إن كنت رسول الله ، فقد آن لك أن تدعو عليهم ، كما دعا نوح على قومه بالهلاك ، فقال النبي الكريم ﷺ : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ، وانصرني عليهم ، أن يجيبوني إلى طاعتك .

فجاء العباس عمه ، فأنقذه منهم وطردهم عنه ، قال الأعمش : فبذلك تفتخر بنو العباس ، ويقولون : فيهم نزلت : ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِيْ مَنْ أَحْبَبْتَ * وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِيْ مَنْ يَّشَاءُ ﴾ (القصص/٥٦) ، هوى النبي الكريم ﷺ أبا طالب ، وشاء الله عباس بن عبد المطلب .

قال مجاهد : لما نزلت : "بلغ ما أنزل إليك من ربك ، قال رسول الله ﷺ : يا ربّ ! إنما أنا واحد ، كيف أصنع ؟ ليجتمع الناس عليّ ؟ فنزلت : ﴿ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ * فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه ﴾ .

وأخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ ، عن ابن عباس قال : جاء نفر من اليهود فيهم : رافع بن حارثة ، وسلام بن مشكم ، ومالك بن الصيف ، ورافع بن حرملة ، قالوا : يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ، ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة ، وتشهد أنها من حقّ الله ؟ فقال النبي الكريم ﷺ : "بلى ، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ، ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق ، كتمتم منها ما أمرتم أن تبيّنوه للناس ، فبرئت من إحداثكم" ، قالوا : فإنا نأخذ مما في أيدينا ، فإنّا على هدى وحق ، ولا نؤمن بك ولا نتّبعك ، فأنزل الله سبحانه فيهم : ﴿ قُلْ : يَا أَهْلَ الْكِتَاب ! لَسْتُمْ عَلَى شَيْئٍ * حَتَّى تُقِيْمُوْا التَّوْرَاةِ (إلى قوله) الْقَوْمِ الْكَافِرِيْنَ ﴾ (المائدة/٦٧) .

الدرّ المنثور : ج/٣ ، ص/١١٧-١٢٠)

***

الموقف من الآخر
(إسلاميا وحضاريا)

(الحلقة الثانية)

بقلم : أ.د/عبد الحليم عويس
(عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية)

♦ ٣- جناحا العلاقات الدولية في الإسلام .. التعارف والسلام :

مما يؤكد أن العلاقات الدولية في الإسلام تقوم على السلام ونبذ الحروب والعنف والدماء والإرهاب ، إنها علاقات ذات طبيعة ربانية إنسانية تخاطب القلب والعقل والوجدان ؛ فليس بغير رضا القلب واقتناع العقل تنتشر الدعوات السماوية .

وتعدّ الأرض كلها بالنسبة للمنهاج النبوي مجالاً لنشر الحب والعدل والأخلاق النبوية الزكية .

والأعداء - فقط - هم شياطين الإنس والجن المحاربون للحق والنور ، المتربصون بأهل الإيمان .

ومن هذا المنطلق يقسم الفقهاء المسلمون العالم إلى ثلاثة أقسام : دار الإسلام ، ودار الحرب ، ودار الأمان ، التي تمثل المساحة الكبرى في العالم للبلاغ والدعوة .

١- فأما دار الأمان : التي تسمى - أيضاً - بدار العهد ، فهي الدول التي ليس بيننا وبينها حرب ، وتقوم بيننا وبينهم علاقات اختيارية اقتصادية وثقافية ، وتتم بين أفرادنا وأفرادها الزيارات والبعثات ، ويسمحون لنا بحماية أبناء ديننا المقيمين لديهم ، وبإقامة المساجد و المدارس لحماية هوية المسلمين الذين يعيشون بينهم ، وبإيجاز : يعاملون المسلمين من أبناء أوطانهم والمقيمين عندهم معاملة

مواطنيهم الآخرين .

٢- ودار الحرب : هي البلد التي تشن علينا حرباً ، وتغتصب حقوقنا ، وتنتهك حرمات المسلمين ، وتعذبهم لمجرد أنهم مسلمون .

٣- وأما دار الإسلام : كما حدّدها الإمام أبو بكر السرخسي في "شرح السير الكبير" ؛ فهي : "اسم للموضع الذي يكون تحت أيدي المسلمين ، وعلامته أن يأمن فيه المسلمون ، وكذلك يأمن فيه غير المسلمين الذين انضووا تحت حكم المسلمين وقبلوا شروط المواطنة أو الإقامة الدائمة أو العابرة" .

= وهؤلآء المواطنون أو المقيمون قسمان :

- مواطن غير مسلم وهو الذمي (يهودياً كان أو نصرانياً) (ومعنى الذمي أي في ذمة الله ورسوله فوق أنه مواطن) .

- (ومستأمن) يطلب الأمان لظروف خاصة به ، فتقبله الدولة، أو يدخل لفترة ثم يعود إلى بلده ، وهؤلآء وأولئك يخضعون للقاعدة الإسلامية العامة في معاملة غير المسلمين من غير المحاربين وهي : "أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم" ، وهذا يقتضي أن تكون لهم حقوق ، وأن تكون عليه واجبات ، و واجباتهم هي الواجبات التي تجب على كل المواطنين ، أما حقوقهم فأهمها :

أ- حق حماية أساسيات الحياة ، وهي حماية النفس والمال والعرض .

ب- حق التنقل . ج- حق المسكن . د- حرية العقيدة.

هـ- حماية ما يملكون وحريتهم في التصرف فيه .

ومن الجدير بالذكر - في ضوء ما قررناه - أن النظام الإسلامي في مجال العلاقات الخارجية (الدولية) إنما هو نظام إلهي سماوي .

فليس الإسلام إلا الحلقة الأخيرة في سلسلة النبوات السماوية ،

ولذلك فهو ملتزم بمنهاج الأنبياء الرباني، لا يحيد عنه، وهو ليس بدعاً من الرسالات أو نشازاً.

وتدلنا وقائع التاريخ على أن معظم الأنبياء كانوا موضع الاعتداء عليهم، ولم يكونوا معتدين، وكان الله سبحانه هو المدافع عنهم والذي يهلك أعداءهم بمدد من عنده !!

وعندما ظهر الإسلام، فترجم هذا التاريخ النبوي، ومدّ يده لأهل الكتاب على أساس الحوار والحق، ولهذا كانت الآية القرآنية الكريمة التي أمر الله سبحانه نبيَّه محمداً والمسلمين باتباعها في علاقتهم بأهل الكتاب؛ هي قول الله تعالى: ﴿ قُل: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ! تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ * أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ * وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً * وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُوْنِ اللهِ * فَإِنْ تَوَلَّوْا * فَقُوْلُوْا: اشْهَدُوْا بِأَنَّا مُسْلِمُوْنَ ﴾ (آل عمران/٦٤).

وكانت هذه الآية التي ختم النبي الكريم محمد ﷺ بها كتابه الذي أرسله إلى هرقل إمبراطور الروم، والذي وقع أن الإمبراطور هرقل لم ينتفع بها، ولا بأسلوب الحوار المطلوب فيها؛ فقد جاءته في السنة السابعة من الهجرة، ولم يمض عام واحد حتى كان جيشه يقاتل المسلمين في غزوة مؤته !!

- وبعد عام آخر كان يهدد حدود الحجاز، مما جعل الرسول والمسلمين يخرجون إلى تبوك.

- وبعد عام ثالث كان يعاود استعراض قواه مما دعا إلى إرسال جيش أسامة بن زيد، ونجح أسامة في تأمين الحدود مع الروم؛ فالروم - كما نرى - هم مشعلو الحرب ومؤيدو أعداء الإسلام، ونحن المسلمين لم نحاربهم لنصرانيتهم، وإنما حاربناهم لطغيانهم، ولو

تركونا نبلغ رسالة الله ما كانت بيننا وبينهم حروب (١).

- والله سبحانه قال لرسوله محمد ﷺ في القرآن الكريم: ﴿ مَا عَلَى الرَّسُوْلِ إِلاَّ الْبَلاَغُ * وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُوْنَ وَمَا تَكْتُمُوْنَ ﴾ (المائدة/٩).

وهي آية تحدد علاقة المسلمين بأتباع الأديان الأخرى على أنها تدور في محور واحد، وهو عرض مبادئ الإسلام بوضوح، وردّ الشبهات بأدب، وإعطاء فرص للتأمل والحكم المتأني فلا استعجال ولا استغلال ... فهو البلاغ الخالي من الإكراه، الذي يخلّي بين كل امرئ وضميره، فإن شاء أسلم، وإن شاء بقي حيث هو، وحسابه على الله، وهذه هي معالم علاقتنا الخارجية بغيرنا (٢).

- ونحن المسلمين لا ننكر أننا نؤمن بالله الواحد الأحد، ونستعد للقائه، ونرتبط بوحيه الذي لا يشوبه تجسيد ولا تعديد، ولا خيال ولا توهم، كما أنّ ارتباطنا بالوحي يتّسم بالشمول والوفاء.

- ونحن نعلم أننا في هذا كله نخالف أهل الكتاب - من يهود ونصارى - كما أننا نخالف من لا كتاب لهم؛ لكننا لا نرغم أحداً على اتّباعنا، وفي المقابل إذا كان أكثر الناس ليسوا على عقائدنا ومسالكنا، فهل معنى هذا أن تفيض المجالس والمحافل بتشويه الإسلام والمؤامرات علينا؟ .. وماذا نعمل؟

إنه لابدّ من احترام الحق الذي شرّفنا الله به، و وضعه في مكانةٍ رفيعةٍ، ونحن بين أمرين: المصارحة المهذبة بما لدينا، وتأكيد استمساكنا به، أو الانسحاب من المجالس الدولية والسياسية التي

(١) محمد الغزالي: جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج: ص/٣٥ (دار الكتب الجزائرية).

(٢) محمد الغزالي: جهاد الدعوة ...: ص/٣٩.

تمسّنا وتتآمر علينا ؛ لأنها مجالس تفوح منها رائحة الكراهية لنا ، حتى ولو كانت تزعم أنها لحقوق الإنسان وللأمم المتحدة وأنها للحوار بين الأديان !!

- والآيات القرآنية تنهى عن البقاء في مجلس يهان فيه الإسلام ؛ إجلالاً للحق حتى يتأدبوا مع ديننا ، ويتركونا نوضحه لهم كما جاء في مصدريه القرآن والسنة النبوية ، ومن حقهم - بعد ذلك - القبول أو الرفض .

- وهناك أمر قرآني آخر يوجهنا إلى الابتعاد عن الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ، وهذا فيه رفض لمجون العابثين ، وفيه ثبات على الصراط المستقيم ، قال تعالى : ﴿ خُذْ الْعَفْوَ * وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ * وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِيْنَ ﴾ (الأعراف/١٩٩) .

- وهذه الآية من أوجز وأجمع ما أُثِرَ في مكارم الأخلاق ، ومعاقد المروءة ... والعفو هو ما جاء بلا كلفة أو تصنع ، وكان أقرب إلى الطبع ، والمعنى : اقبل - يا محمد - أقوال الناس ، ولا تستقص أخبارهم لتعرف الخبايا ، ولا تناقش الأعذار لتكشف المزيف والمفتعل منها ، وأمر بالعرف أي بما اتفق مع العقل والشرع ، وانسجم مع نداء الفطرة السليمة ، وأعرض عن الجاهلين ، فإن الانشغال بأحوال الغوغاء متعبة للفكر ومضيعة للوقت .

- وفي هذا التوجيه أبلغ دلالة على أننا لسنا في علاقتنا الدولية دعاة حرب ، وأننا نؤثر العفو والمعروف ، ونعرض عن الجاهلين ، بل - وعلينا أن نصبر في هذا الطريق .. - دون انتظار لنتائج دعوتنا وحوارنا وجهادنا .

قال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ * فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِيْ نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ * فَإِلَيْنَا يُرْجَعُوْنَ ﴾ (غافر/٧٧) ، وكل ما نرجوه

أن تحترم عقائدنا ، وأن يترك لنا عرضها صحيحة كما نؤمن بها .

فنّ الجدال والمناظرة .. ودلالته على أصالة الحوار في الحضارة الإسلامية :

من الفنون التي ازدهرت في حضارتنا (فن الجدال والمناظرة) ، سواء بين الأفراد المثقفين أو علماء العقيدة أو الشريعة ، وبين المسلمين وغير المسلمين .

ومن الطريف أن الجدال والمناظرة كانا يتحققان وفاقاً لشروط علمية ، وأنهما كانا يقعان في قصور الخلفاء والوزراء والمساجد ، وأنهما يحاطان بشروط موضوعية تقوم على الحقائق والمنطق ، وعدم الخوف ، بل كثيراً ما كان اليهود والنصارى البادئين بالنقد ، ومن ثم ينبري المسلمون للردّ عليهم ، كما فعل الوزير اليهودي الأندلسيّ ابن النغريلة ، وقيام ابن حزم الأندلسيّ بالردّ عليه .

وفي البداية نشير إلى أن معنى المجادلة (مقارعة الحجة بالحجة) قال تعالى : ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوْا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مِنْهُمْ * وَقُوْلُوْا : آمَنَّا بِالَّذِيْ أُنْزِلَ إِلَيْنَا * وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ * وَإِلَـهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ * وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُوْنَ ﴾ (العنكبوت/٤٦) ، ونشير أيضاً إلى أننا نملك في تراثنا الثقافي الإسلامي رصيداً عظيماً من صور الحوار والمناظرة وشروطهما .

كما أننا نؤيّد - أيضاً - ما ذكره إمام الحرمين الشريفين الجويني الذي يرى أنه : لا فرق بين المناظرة والجدال والمجادلة والجدل في عرف العلماء بالأصول والفروع ، وأن الفارق بين الجدال والمناظرة هو فرق من حيث اللغة فحسب .

ومن المعروف - كما يذكر الجويني - أن من الجدل ما يكون محموداً مرضياً ، ومنه ما يكون مذموماً محرماً ؛ والمذموم منه ما يكون لدفع الحق ، أو تحقيق العناد ، أو ليلبس الحق بالباطل أو لطلب الجاه ؛

أما الجدال المحمود فهو الذي يحق الحق ، ويكشف الباطل ، ويـهدف إلى الرشد ، مع من يرجى رجوعه عن الباطل إلى الحق ، وفيه قال سبحانه : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ * وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النمل/١٢٥) ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ : هَاتُوْا بُرْهَانَكُمْ ﴾ (البقرة/١١١) .

ويتتبع عبد الرحمن بن خلدون (ت/٨٠٨هـ) في مقدمته المشهورة ظهور المذاهب الفقهية وتطورهـا ، ودور الجدال العقلي في تكوينـها فيقول : وجرت بينهم المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب إمام يجري على أصول صحيحة وطرائق قويمة ؛ يحتج كل على مذهبه الذي قلده وتمسك به ، وأجريت في مسائل الشريعة كلها وفي كل باب من أبواب الفقه .

أما الإمام أبو حامد الغزالي (ت/٥٠٥هـ) فقد ذكر في الجزء الأول من كتابه القيم : (إحياء علوم الدين) الذي تكلم فيه عن العلم وآفات الجدال والمناظرة والضوابط المطلوبة في المناظرة والجدال ، وقد تتبع الغزالي ظهور الخلافات الفكرية في الأمة ، وربطه بظهور الفقه (وعلم الاجتهاد في فروع الشريعة) ، وعلم الكلام (علم فقه العقيدة) منذ عصر التابعين والسلف الصالح ؛ الذين اهتموا بعلوم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها في الولايات والحكومات ، مع اتساع الدولة الإسلامية و وراثتها للعالم القديم .

ويكشف أبو حامد الغزالي ما يدخل في المناظرات من تلبيسات إبليس وتمويه أجناده وأعوانه ؛ فهو يفحص دعاوى الملبسين والمتوصلين بالجدال والمناظرة إلى التشكيك في الحقائق ؛ ثم يضيف : إن التعاون على طلب الحق من الدين ، ولكنّ له شروطاً وعلامات لا تتغير مع اختلاف الزمان ومستجداته .

ومن شروط الجدال التي ذكرها أبو حامد الغزالي (١) :

- أن يكون المناظر مجتهداً يقول برأيه ، ويجتهد في طلب الحق ، وأن يقبله بلا تعصب .
- ألا يناظر إلا في مسائل واقعة أو محتملة الوقوع غالباً .
- وأن تكون المناظرة - قدْر الاستطاعة - في الخلوة ، وبعيدة عن المحافل ، وعن حضرة ولاة الأمر ؛ فإن الخلوة أجمع للفهم وأبعد عن الرياء .
- وأن يكون المناظر في طلب الحق كناشد ضالة ؛ لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه .
- وألا يمنع (أي المناظر) محاوره من الانتقال من دليل إلى دليل ، ومن إشكال إلى إشكال ؛ بل يعطيه الحق الذي يعطيه لنفسه .

وهكذا تدلّنا قواعد فنّ الجدال والمناظرة على أصالة الحوار في حضارتنا ، بطريقة راقية تحترم العقل الإنساني وتمكنه من تحقيق التعاون والتعارف بين الحضارات ؛ بحيث نستطيع القول : إن الحوار باعتباره صورة راقية من سوائل التفاعل الحضاري ، و وسيلة سلمية تؤدي إلى هدف إنساني كريم هو الوصول إلى الحق ؛ يجد - في ظل شروط فن الجدال والمناظرة - المناخ الملائم لتحقيق غايته الكريمة ؛ لكنه إذا فقد هذه الشروط أصبح وسيلة لاستمرار الصراع وتكريسه بطرق أقل عنفاً .

وإذا ذهبنا - كما يقول الدكتور عبد الملك منصور إلى بيان موقف الحضارتين - الأوربية والإسلامية - من الحوار (أو الجدال

(١) الدكتورة آمنة نصير : حوار الحضارات من أجل الإنسان تواصل لا صدام : ص/٢٥ ، العدد/١١٩ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .

والمناظرة) ؛ في ضوء عامل المرجعية أو القيم الحاكمة ؛ فسوف نجد أن التوجه الصراعي ، وليس الحوار السلمي هو المسيطر على الفكر الغربي بما فيه الفكر الديني (صراع الآلهة) ، والفكر الفلسفي (مقولات نيتشة وهيجل) ، والفكر الاقتصادي (نظرية صراع الطبقات) ، و (نهاية التاريخ لصالح الرأسمالية) عند فوكوياما ، والفكر الحضاري الصدامي (مقولات برنارد لويس وتلميذه هنتنجتون) ، والفكر السياسي (نظريات توازن القوة والواقعية الوضعية) ، والفكر البيولوجي (نظرية البقاء للأصلح) ، والفكر الاجتماعي (مقولات الداروينية وأوجست كونت الاجتماعية) ، والفكر النفسي (نظريات فرويد) إلى غير ذلك (١) .

ولعل النظرة العابرة في تاريخ الحضارة الغربية تفيدنا أن غلبة التوجه الصراعي على الفكر الغربي ليس أمراً نظرياً فحسب ، وإنما هو أمر يؤيده الواقع ، وسواء في التاريخ الداخلي للمجموعة (الأوربية - الأمريكية) : (تاريخ الحروب الدينية في الغرب ، والحروب الأهلية داخل دولها ، والحرب الباردة بين شقيها الرأسماليّ والماركسيّ و ... إلخ) ، أو تاريخها الخارجيّ (توسعات الإمبراطوريتين الرومانية واليونانية ، وغزوات الإسكندر ، والحروب الصليبية لثلاثة قرون ، والحربين العالميتين ، والحملات الاستعمارية و ... إلخ) (٢) .

فإذا نظرنا إلى الحضارة الإسلامية في ضوء مرجعيتها الفكرية والقيمية ، وكذلك المواقف العملية عبر التاريخ ؛ فسوف نجد الحوار

(١) الدكتور عبد الملك منصور : دور المجموعة الحضارية الإسلامية في حوار الحضارات (مؤسسة المنصور الثقافية للحوار بين الحضارات - اليمن .
(٢) الدكتور عبد الملك منصور : المرجع السابق .

يمثل ركناً أساسياً وأصيلاً في الشريعة والحضارة الإسلامية ؛ إذ يوضح لنا القرآن الكريم - وهو أساس المرجعية الإسلامية - أن العلاقة الأساسية الأولى في هذا الوجود ، وهي علاقة الخالق بالمخلوقات ، قد بدأت وتأسست واستمرت على أساس الحوار وحله .

لقد أسس الله علاقته مع الإنسان والملائكة والجن على مبدأ الحوار ، كما تروي لنا آيات قرآنية كثيرة - مثلاً - : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّيْ جَاعِلٌ فِيْ الأَرْضِ خَلِيْفَةً * قَالُوْا : أَتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيْهَا * وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ * وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ * قَالَ : إِنِّيْ أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُوْنَ ﴾ (البقرة/٣٠) ، و : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ * فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا * وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا * وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ * إِنَّهُ كَانَ ظَلُوْماً جَهُوْلاً ﴾ (الأحزاب/٧٢) .

والقرآن الكريم حافل بالآيات الكثيرة الدالة على الحوار مع المخالفين ، وتعد الآية القرآنية : ﴿ قُلْ : يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ! تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾ (آل عمران/٦٤) ، دستوراً للحوار الإسلامي ، كما أن الآية القرآنية : ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِيْ الدِّيْنِ * قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة/٢٥٦) تمثل دستوراً لحرية الاعتقاد الذي ينفي بطبيعته الإكراه ويدعو إلى الحوار والإقناع .

وقد بسطت أوراق كثيرة سابقة القول في مدى أصالة الحوار في الإسلام وحضارته ، كما قدمت مواقف وشرائح كثيرة تؤكد أصالة هذا الحوار ، وأنه الأصل الأصيل ، وأن اللجوء إلى (الصراع) إنما يكون عند الضرورة القصوى ؛ دفاعاً عن النفس ، أو دفعاً للظلم والقهر والتسلط .

(يتبع)

***

الدعوة الإسلامية :

خصائص الرسول صلّى الله عليه وسلم في ضوء القرآن والسنة الصحيحة

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : الأستاذ محمد الرابع نوراني البدوي
(الأستاذ في دار العلوم فيض الرسول ، سدهارت نغر - الهند)

إن سلفنا الصالح قد خاضوا في أغوار كتاب الله العزيز والسنة الصحيحة الشريفة فاستخرجوا درراً ولألئ مشرقة زاهرة منبئة عن خصائصه ﷺ .

فمنها أن الله تعالى ذكره في القرآن عضواً عضواً فذكر قلبه بقوله : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ (النجم/١١) ، وقوله : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الأَمِيْنُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ (الشعراء/١٩٤) ، ولسانه بقوله : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ (النجم/٣) ، وقوله : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾ (مريم/٩٧)، و بصره بقوله : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ (النجم/١٧) و وجهه بقوله : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ (البقرة/١٤٤) ، ويده وعنقه بقوله : ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدِكَ مَغْلُوْلَةً إِلَى عُنُقِكَ ﴾ (الإسراء/٢٩) ، وظهره وصدره بقوله : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَ وَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِيْ أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ (الشرح/١-٣) .

ومنها أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم في القرآن ؛ فقال : ﴿ يَا آدَمَ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ (البقرة/٣٥) ، ﴿ يَا نُوْحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا ﴾ (هود/٤٨) ، ﴿ يَا مُوْسَى * إِنِّيْ أَنَا رَبُّكَ ﴾ (طه/١١-١٢)، ﴿ يَا عِيْسَى بْنَ مَرْيَمَ * أُذْكُرْ نِعْمَتِيْ عَلَيْكَ ﴾ (المائدة/١١٠) ، ولم يخاطبه فيه إلا بيا أيها الرسول ، يا أيها النبي ، يا أيها المزمل ، يا أيها المدثر ، ولله در القائل :

فدعا جميع الرسل كلا باسمه
ودعاك وحدك بالرسول وبالنبي

ومنها أن الله تعالى قال : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّيْ جَاعِلٌ فِيْ الأَرْضِ خَلِيْفَةً ﴾ (البقرة/٣٠) فانظر ما في هذه الآية من ذكر "الرب" وإضافته إلى كاف خطاب النبي الكريم ﷺ وما في ذلك من التنبيه على شرفه واختصاصه بخطابه وما في ذلك من الإشارة اللطيفة ، وهي أن المقبل عليه بالخطاب ، له الحظ الأعظم والقسم الأوفر من الجملة المخبر بها ، إذ هو في الحقيقة أعظم خلفائه .

ومنها أن الله تعالى قدم ذكره على الأنبياء تعظيماً له مع تأخره عنهم في الزمان في قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّيْنَ مِيْثَاقَهُمْ * وَمِنْكَ * وَمِنْ نُوْحٍ * وَإِبْرَاهِيْمَ * وَمُوْسَى * وَعِيْسَى بْنِ مَرْيَمَ ﴾ (الأحزاب/٧) .

ومنها أن الله تعالى أخبر أن أهل النار يتمنون طاعته ﷺ كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوْهُهُمْ فِي النَّارِ * يَقُوْلُوْنَ : يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُوْلَ ﴾ (الأحزاب/٦٦) (١٤) .

منها ما قال المحدث العلامة الحافظ أبو نعيم الأصفهاني رحمه الله : إن كل نبي ذكره الله تعالى حاله ، وأنه غفر له ما كان منه ، نص عليه ؛ فقال تعالى في قصة موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ ! إِنِّيْ قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً ﴾ (القصص/٣٣) وقال : ﴿ إِنِّيْ ظَلَمْتُ نَفْسِيْ * فَاغْفِرْ لِيْ * فَغَفَرَ لَهُ ﴾ (القصص/١٦) ، فنص على ذنبه وسأل ربه المغفرة وأخبر عن داؤد عليه السلام ، إذ تسور عليه الملكان ؛ فقال : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِيْ * لَهُ تِسْعَ وَتِسْعُوْنَ نَعْجَةً * وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ ، فذكر الظلم والبغي فقال : ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ * وَإِنَّ كَثِيْراً مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِيْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ، فقال تعالى : ﴿ وَظَنَّ دَاوُوْدُ * أَنَّمَا فَتَنَّاهُ * فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ * وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا ذَلِكَ ﴾ (ص/٢٣-٢٥) .

ونص الله على زللهم وخطاياهم وأخبر عن غفران نبيه ﷺ ولم ينص على شئ من زلله إكراماً له وتشريفاً فقال : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ * وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (الفتح/٢) فهذا غاية الفضل والشرف (١٥) .

قال رحمه الله تعالى أيضاً : إن الله تعالى قرن اسمه باسمه في كتابه عند ذكر طاعته ومعصيته وفرائضه وأحكامه و وعد و وعيده ؛ فقال : ﴿ أَطِيْعُوْا اللهَ * وَأَطِيْعُوْا الرَّسُوْلَ ﴾ (النساء/٥٩) ، وقال تعالى : ﴿ أَطِيْعُوْا اللهَ وَرَسُوْلَهُ * إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ ﴾ (الأنفال/١) .

وقال تعالى : ﴿ يُطِيْعُوْنَ اللهَ وَرَسُوْلَهُ * أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ ﴾ (التوبة/٧١) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ ﴾ (الحجرات/١٠) ، وقال الله تعالى : ﴿ اسْتَجِيْبُوْا للهِ وَلِلرَّسُوْلِ ﴾ (الأنفال/٢٤) ، و قال تعالى : ﴿ وَ مَنْ يَّعْصِ اللهَ وَرَسُوْلَهُ ﴾ (النساء/١٤) ، و قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ يُؤْذُوْنَ اللهَ وَرَسُوْلَهُ ﴾ (الأحزاب/٥٧) ، وقال تعالى : ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُوْلِهِ ﴾ (التوبة/١) ، وقال تعالى : ﴿ آذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُوْلِهِ ﴾ (التوبة/٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُوْا مِنْ دُوْنِ اللهِ وَلاَ رَسُوْلِهِ ﴾ (التوبة/١٦) ، وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوْا أَنَّهُ مَنْ يُّحَادِدِ اللهَ وَرَسُوْلَهُ ﴾ (التوبة/٦٣) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِيْنَ يُحَارِبُوْنَ اللهَ وَرَسُوْلَهُ ﴾ (المائدة/٣٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَلاَ يُحَرِّمُوْنَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُوْلُهُ ﴾ (التوبة/٢٩) و قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُّشَاقِقِ اللهَ وَ رَسُوْلَهُ ﴾ (الأنفال/١٣) ، و قال تعالى : ﴿ قُلِ : الأَنْفَالُ للهِ وَلِلرَّسُوْلِ ﴾ (الأنفال/١) ، وقال تعالى : ﴿ فَرُدُّوْهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُوْلِ ﴾ (النساء/٥٩) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُوْلُهُ ﴾ (التوبة/٥٩) ، وقال تعالى : ﴿ سَيُؤْتِيْنَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُوْلُه ﴾ (التوبة/٥٩) ، وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُوْلِ ﴾ (الأنفال/٤١) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوْا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُوْلُهُ ﴾

(التوبة/٧٤)، وقال تعالى : ﴿ وَقَعَدَ الَّذِيْنَ كَذَبُوْا اللهَ وَرَسُوْلَهُ ﴾ (التوبة/٩٠) ، وقال تعالى : ﴿ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ * وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ (الأحزاب/٣٧) ، قرن اسمه باسمه في ذلك تعظيماً له تشريفاً ﷺ (١٦) .

ومنها أنه قد كانت الأنبياء يجادلون أممهم عن أنفسهم يقول قوم نوح : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِيْ ضَلاَلٍ مُّبِيْنٍ ﴾ (الأعراف/٦٠) ؛ فقال دافعاً عن نفسه : ﴿ لَيْسَ بِيْ ضَلاَلَةٌ ﴾ (الأعراف/٦١) ، وقال قوم هود : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِيْ سَفَاهَةٍ ﴾ (الأعراف/٦٦) ؛ فقال : ﴿ لَيْسَ بِيْ سَفَاهَةٌ ﴾ (الأعراف/٦٧) ، وقال فرعون لموسى : ﴿ إِنِّيْ لأَظُنُّكَ يَا مُوْسَى مَسْحُوْراً ﴾ (الإسراء/١٠١) ، فقال موسى : ﴿ إِنِّيْ لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوْراً ﴾ (الإسراء/١٠٢) ولكن الله تولى المجادلة عن نبيه ﷺ فلما قالوا : هو شاعر قال الله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ ﴾ (ياسين/٦٩) ، ولما قالوا : كاهن قال الله تعالى : ﴿ وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ ﴾ (الحاقة/٤٢) ، ولما قالوا : ضل قال الله تعالى : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾ (النجم/٢) ، ولما قالوا : مجنون قال الله تعالى : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُوْنٍ ﴾ (سورة ن/٢) ، ولما قالوا : إنما أنت مفتر قل في الرد عليهم : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُوْنَ * قُلْ : نَزَّلَهُ رُوْحُ الْقُدُسُ ﴾ (النحل/١٠٢) ، وقال : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِيْنَ لاَ يُؤْمِنُوْنَ بِآيَاتِ اللهِ * وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُوْنَ ﴾ (النحل/١٠٥) ، ولما قالوا : إنما يعلمه بشر قال في الرد عليهم : ﴿ لِسَانُ الَّذِيْ يُلْحِدُوْنَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ * وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِيْنٌ ﴾ (النحل/١٠٣) (١٧) .

ومنها ما نقله الشيخ الإمام أحمد رضا البريلوي رحمه الله من بعض الأعلام كلاماً في الفرق بين حبيب الله وخليله وحبيب الله و كليمه وحبيب الله وكلمته صلى الله تعالى عليه وعليهم وبارك وسلم ، نلخصه فيما يلي :

قال رحمه الله ؛ قال الخليل : ﴿ لاَ تُخْزِنِيْ يَوْمَ يُبْعَثُوْنَ ﴾

(الشعراء/٨٧) ، وقيل للحبيب : ﴿ يَوْمَ لاَ يُخْزِيَ اللهُ النَّبِيَّ * وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا مَعَهُ ﴾ (التحريم/٨) ، وقال الخليل : ﴿ وَاجْعَلْ لِّيْ لِسَانَ صِدْقٍ فِيْ الآخِرِيْنَ ﴾ (الشعراء/٨٤) ، والحبيب قيل له : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (الشرح/٤) و : ﴿ عَسَى أَنْ يَّبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوْداً ﴾ (الإسراء/٧٩) ، قال الكليم : ﴿ وَيَضِيْقُ صَدْرِيْ * وَلاَ يَنْطَلِقُ لِسَانِيْ * فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُوْنَ ﴾ (الشعراء/١٣) ، والحبيب قيل له : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (الشرح/١) ، قال الكليم : ﴿ رَبِّ إِنِّيْ لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِيْ وَأَخِيْ * فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِيْنَ ﴾ (المائدة/٢٥) والحبيب قد رفع بسببه العذاب عن الكفار ، قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ * وَأَنْتَ فِيْهِمْ ﴾ (الأنفال/٣٣) ونقل القرآن الكريم قول كلمة الله وروحه عيسى بن مريم : ﴿ قَالَ : مَنْ أَنْصَارِيْ إِلَى اللهِ * قَالَ الْحَوَارِيُّوْنَ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ ﴾ (آل عمران/٥٢) والحبيب أمر بنصره الأنبياء والمرسلون ؛ قال تعالى : ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ * وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ (آل عمران/٨١) (١٨) .

ومنها ما قال سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام الشافعي رحمه الله : إن الله يكتب لكل نبي من الأنبياء من الأجر بقدر أعمال أمته ، وأحوالها وأقوالها وأمته شطر أهل الجنة ، قد أخبر الله تعالى أنهم خير أمة أخرجت للناس وإنما كانوا خير الأمم لما اتصفوا به من المعارف والأحوال والأقوال والأعمال ، فما من معرفة ولا حالة ولا عبادة ولا مقالة ولا شئ يتقرب به إلى الله ﷻ مما دل رسول الله ﷺ ودعا إليه إلا وله أجر من عمل به إلى يوم القيامة لقوله ﷺ : "من دعا إلى هدى كان له أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة" .

ولا يبلغ أحد من الأنبياء إلى هذه المرتبة وقد جاء في الحديث : "الخلق عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله" فإذا كان ﷺ قد نفع شطر أهل الجنة وغيره من الأنبياء إنما نفع جزء الشطر كانت منزلته

ﷺ في القرب على قدر منزلته في النفع ، فما من عارف من أمته إلا وله مثل أجر معرفته مضافاً إلى معارفه ، وما من ذي حال من أمته إلا وله مثل أجره على حاله مضموماً إلى أحواله ﷺ ، وما ذي مقال يتقرب به إلى الله تعالى إلا وله ﷺ مثل أجر ذلك القول مضموماً إلى مقالته وتبليغ رسالته (١٩) .

ومنها ما قال : وإذ كان الأنبياء أفضل من الملائكة ورسول الله ﷺ أفضل من الأنبياء ، فقد ساد سادات الملائكة ، فصار أفضل من الملائكة بدرجتين ، وأعلى منهم برتبتين لا يعلم قدر تينك الرتبتين وشرف تينك الدرجتين إلا من فضل خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ﷺ على جميع العالمين (٢٠) .

ومنها ما قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي رحمه الله في شرح حديث : "أتموا الركوع والسجود فو الذي نفسي بيده إني لأراكم من وراء ظهري إذا ركعتم وإذا سجدتم" (رواه الإمام أحمد والشيخان والنسائي عن أنس ﷺ) : وهذه رؤية إدراك فلا يتوقف على شعاع ومقابلة خرقاً للعادة ، ولا يلزم منه محال وخالق البصر في العين قادر على خلقه في غيرها ، وزعم أن هذه رؤية قلبيه أو بوحي ، رد بأنه تعطيل للفظ الشارع بلا ضرورة فحمله على ظاهره وأنه إبصار حقيقي خاص به ﷺ خرقاً للعادة معجزة له أولى (٢١) .

ومنها ما قال رحمه الله في شرح حديث : "إن أتقاكم وأعلمكم أنا" (رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها) : لأن الله سبحانه وتعالى جمع له ﷺ بين علم اليقين وعين اليقين ، مع الخشية القلبية واستحضار العظمة الإلهية على وجه لم يجتمع لغيره ﷺ وكلما ازداد علم العبد بربه ازدادت تقواه وخوفه منه تعالى (٢٢) .

ومنها ما قال رحمه الله في شرح حديث : "وكان خلقه القرآن"

(رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داؤد عن عائشة رضي الله عنها) : وقال السهروردي : في عوارفه : فيه رمز غامض وإيماء خفي إلى الأخلاق الربانية ، فاحتشم الراوي الحضرة الإلهية أن يقول كان متخلقاً بأخلاق الله تعالى ، فعبر الراوي يعني السيدة عائشة رضي الله عنها عن المعنى بقول : كان خلقه القرآن ، استحياء من سبحات الجلال وستراً للحال بلطف المقال ، وهذا من وفور العقل وكمال الأدب وبذلك عرف أن كمالات خلقه ﷺ لا تتناهى وأن التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر ، ثم ما انطوى عليه ﷺ من جميل الأخلاق لم يكن باكتساب ورياضة وإنما كان في أصل خلقته بالجود الإلهي والإمداد الرحماني الذي لم تزل تشرق أنواره في قلبه ﷺ إلى أن وصل لأعظم غاية وأتم نهاية (٢٣) .

إن هذه الخصائص والمزايا والكرامات التي أكرمه الله تعالى بها لا تنبئ إلا عن إجلال الله تعالى قدر نبيه ﷺ وتعظيمه وتبجيله وتكريمه إياه ﷺ .

وصلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد
وعلى آله وصحبه وبارك وسلم

---

(١٤) المواهب اللدنية : ج/٢ ، ص/٦٢٨-٦٢٩ ، ج/٣ ، ص/١٤٤-١٤٥ .
(١٥) جواهر البحار : ج/١ ، ص/٧٣ . (١٦) المصدر السابق : ج/١ ، ص/٧٣ .
(١٧) محمد ﷺ الإنسان الكامل : ص/١٩٣-١٩٤ .
(١٨) انظر : تجلى اليقين : ص/٦٠ إلى/٦٧ .
(١٩) جواهر البحار : ج/١ ، ص/١٩٧ .
(٢٠) المصدر السابق : ج/١ ، ص/٢٠١-٢٠٢ .
(٢١) المصدر السابق : ج/٢ ، ص/١٣٧ . (٢٢) المصدر السابق : ج/٢ ، ص/١٤٩ .
(٢٣) المصدر السابق : ج/٢ ، ص/١٩١-١٩٢ .

أحكام الهدية في الإسلام

(الحلقة الأخيرة)

بقلم : سعادة الشيخ إبراهيم بن عبد الله المزروعي

◆ **١- هدية الأعلى والنظير :**

أي من الأعلى للأدنى في الجاه والمنصب والمال ، أو من الكبير للصغير أو من المعلّم للتلميذ أو من الشيخ للطالب وهكذا ، ويكون فيها إكرام وتحبب وصلةٌ ويقصدُ بها تأليفُ القلبِ وتأكيد الصحبةِ والمحبّةِ ، وتشجيع للصغير والتلميذ والطالبِ وغيرهم .

وقد يصحب هذا النوعَ من الهدية مناسباتٌ دينيةٌ كالعيدين ، أو مناسبات اجتماعية كالزواج والولادةِ والختانِ والنجاحِ والترقيةِ والسفرِ والعودةِ منه .

والهديةُ في حضرة الحالات مندوب إليها شرعاً إذا كانت لوجه الله تعالى ، وليس فيه محظور شرعي كالتشبيه بالمشركين في نوع الهدية.

📖 **٢- هدية الوالدين لأولادهم :**

من الهدايا التي تغرس المحبة في نفوس الأولاد ولكن لابدّ من العدل بينهم في الهدايا إلا إذا كان هناك داع أو مقتضى للتفضيل والتخصيص فلا بأس كأن يكون أحدهم مريضاً أو أعمىً أو كان ذا عائلة أو طالب علم أو يريد الزواجَ أو يكون الابن الأكبر قد شارك في تكوين الثروة وتربية إخوانه ، أو يقضي ديناً لأحد أبنائه أو ما شابه ذلك من الدواعي والأسباب .

*** أما إذا لم توجد الدواعي للتفصيل فالواجب العدل والتسوية بين الأولاد في العطية :**

وهو قول كثير من العلماء ومذهب الإمام أحمد والبخاري وإسحاق والثوري وداؤد وابن تيمية وغيرهم ، واستدلّوا بحديث النعمان بن بشير ﷺ وأنّ أباه أتى به إلى رسولٍ إليه فقال :

إني نحلتُ ابني صفراً غلاماً ، فقال : أكلَّ ولدكَ نحلتَ مثله ؟ قال : لا ؛ قال : فأرجعْه (خ/٢٥٨٦) ، وفي رواية : قال : لا تُشهدْني على جَوْر (متفق عليه) ، وراجع الخلاف في المسألة في (فتح الباري : ٢١٥/٥) .

قال ابن تيمية رحمه الله : الحديث والآثار تدل على وجوب العدل ..... **ثم هنا نوعان :**

نوع يحتاجون إليه من النفقة في الصحة ونحو ذلك ، فالعدل فيه أن يعطيَ كل واحد ما يحتاج فيه ، ذكره في الاختيارات الفقهية .

ولا فرقَ بين الذكر والأنثى في التسوية بين الأولاد في العطية لحديث : "سوّوا بين أولادكم في العطية" (حسنه ابن حجر : ٢١٤/٥) .

لا نفرق بين الأب والأم في جواز الرجوع في هدية الأولاد لحديث النعمان بن بشير السابق وحديث : "لا يرجع أحد في هبته إلا الوالد من ولده ..." (صم. ن. م. صحيح الجامع الصغير : ٧٦٨٦) .

٣- هدية الخطوبة :

"هي ما يقدمه أحد الزوجين للآخر بعد عقد القران وقبل الدخول" .

وهذه الهدايا أن تكون أموراً مستهلكةً مما يؤكل أو يُلبس أو يستعمل وهذا لا رجعة فيها ، ولا يطالب بقيمته أو بدله حال التفرقة بينهما .

أما إذا كانت الهدية هي الشبْكَةُ أو ما في الأشياء الثمينة غير المستهلكة فإنها تُرد مع المهر كاملاً للزوج في حالة عدم إتمام الزواج من قبل الزوجة أو وليّها ، ولا يكون للزوج حق الرجوع على مخطوبته بالهدايا والهبات إذا كان عدم إتمام الزواج راجعاً إليه ، وكان هو السبب

فيه ، وفي المذاهب الفقهية تفصيل واسع وفي جميع الحالات لابد من مراعاة العُرف بين الناس والمعروف عرفاً كالمشروط شرطاً .

٤- الهدية لقضاء الحاجة المباحة "الهدية على الشفاعة" :

والشفاعة هنا معناها الوساطة والتدخل بالجاه ابتغاء وجه الله تعالى وهي جائزة في غير الحدود التي بلغت الحاكم ، ولا شكّ أنها جائزة لقوله ﷺ : "من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه" (م. صم. عن جابر ، صحيح الجامع : ٦٠١٩) .

وقال أيضاً "اشفعوا تؤجروا" (متفق عليه) .

وقال الله تعالى : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا * وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ... ﴾ (النساء/٨٥) ، نصيب أيّ خطأ ، كِفل أي إثماً ، وينبغي لمن يُوفقُهُ الله تعالى لقضاء حوائج الناس ألا يقبل مكرمةً مقابل شفاعته ، ولا ينبغي الاستعانة بالهدايا على قضاء الحوائج وتيسير المهام حتى لا تتوقف الأمور على ذلك ، وتضيع المروءات والأخلاق بين الناس ويكون التعامل بينهم على أساس ماديّ .

فإذا اشترط الشافع فهي جائزة وإلا فيحرم ذلك لأنه عوض عن الجاه .

وإذا لم يشترط الشافع أن يدفع له شيئاً وانتفع المشفوع له بالشفاعة وأراد أن يهديَ له هديةً فالأفضل أن لا يأخذها ، فإذا أخذها جاز له ذلك .

قال ابن حزم رحمه الله : (من نصير آخر يفي حقاً أو دفع عنه ظلماً ولم يشترط عليه في ذلك عطاءً فأهدى إليه مكافأة فهذا حسن لا نكرهه لأنه من جملة شكر المنعم وهديةً بطيب نفس وما نعلم قرآناً ولا سنةً في المنع من ذلك) (المحلّى : ١٥/٩ ، مسألة/١٦٣٧) .

٥- الهدية للانتفاع بالجاه والمنصب :

فتكون الهدية للتقرب إلى قلب المهدى إليه وتحصيل محبته ، لا لذاتها وإنما لينتفع بجاهه وسلطانه ومنزلته عند الآخرين ، فيوصل بذلك إلى أغراضه ، وهذه الهدية شبيهةٌ بالرشوة ، ويحرم أخذها فإنه كان الجاه ولاية قضاء أو عمل أو حكم أو رئاسة أو منصب فهذه رشوةً عُرضت في معرض الهدية وكما يحرم الأخذ يحرم العطاء أيضاً .

والفرق بين هذا النوع والذي قبله أن الأول يقصد به الهدية على عمل مباح ، أما هذا النوع فهو أعم من سابقه ، فقد يقصد به الإعانة على ظلم أو محرم أو ما لا يحق له أو غير ذلك فيكون الرشوة المحرّمة بعينها .

٦- الهدية لنيل حق أو دفع ظلم :

وذلك بأن لا يتعذّر على المسلم الوصول إلى حقه أو أن يدفع الشر الذي يلحق به ، فيدفع الهدية لمن يملك ذلك لتحقيق هدفه .

أما تحريم الهدية في هذه الحالة على الآخذ فمما لا يُشك فيه أمر مجمع عليه ...

وأما بالنسبة للمعطى ففيه خلاف بين أهل العلم والجمهور على جواز ذلك ، والراجح عدم جواز ذلك لعموم حديث : "لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم" (صم. ت. ك. صحيح الجامع : ٥٠٩٣) فعلى هذا تكون الهدية محرمة على الجانبين كما قال الشوكاني وغيره .

٧- الهدية لإحقاق باطل أو إبطال حق :

بأن يدفع الهدية ليقلب الحقائق ويُغير الأمور ، وهذه الهدية حرام على الجانبين أيضاً ، وهي الرشوة بعينها المحرمة باتفاق ، ولأن القصد منها السعي في إنجاز محرم أو ظلم إنسان أو أخذ ما لا يحق أو غير ذلك .

٨- هدية القاضي :

القضاء بنشر العدل بين الناس فلا ينبغي أن توجد عوامل تؤثر على قضاء القاضي فتجعله يحكم بغير ما أنزل الله تعالى .

وبدراسة أقوال العلماء في هدية القاضي بيّن أن هناك رأيين أساسيين :

أحدهما : المنع مطلقاً على سبيل التحريم أو الكراهة عند بعضهم .

ثانيهما : التفصيل في الحكم كما يلي :

أ- هديةً تعطى للقاضي ممن له خصومة أو قضية .

فهذه الهدية محرمةً سواء كانت بينهما هدايا من قبل أو بينهما قرابةً أو صداقةً أو غير ذلك .

ب- هدية تعطى للقاضي من شخص لا خصومة له قائمة أو منتظرة .

فإذا كانت بينهما مهاداةً وجاءت الهدية بسبب المكافأة على الهدية فجائزة أيضاً وتدخل في هذا القسم الهدايا من الوالدين والزوجة والأولاد والأقارب والأصدقاء إذا لم تكن للمعطي منهم خصومة أو قضية أو مصلحة .

ملاحظة :

"وفي معنى الهدية : الدعوة الخاصة أو العامة من قبل أحد المتخاصمين أو من له مصلحة عند القاضي" .

وقال الشوكاني رحمه الله : (فليحذر الحاكم المتحفظ لدينه المستعد للوقوف بين يدي ربه من قبول هدايا من أهدى إليه بعد تولى القضاء ، فإن للإحسان تأثيراً في طبع الإنسان ، فربّما مالت نفسه إلى المهدي إليه ميلاً يُؤثر المَيل عن الحق عند عروض المخاصمة بين

المهدي وبين غيره، والقاضي لا يشعر بذلك) (نيل الأوطار: ١٧٣/٩).

مسألة: مصير هدية القاضي:

فإذا أخذ القاضي الهدية المحرمة فما هو مصيرها؟ قال بعض العلماء: يضعها في بيت المال، وقال بعضهم يردّها على صاحبها إذا عرفه، فإذا ترتب على ردّها أذى أو ضرر أكبر ترد إلى بيت المال.

٩- هدية الوالي أو الأمير "مُفوض الحاكم":

والمقصود بالوالي أو الأمير من فوّضه الحاكم في إمارة بلد ولايةً له على جميع أهله، ومن في حكمهم كالوزراء والمدراء وغيرهم.

وقد حرم الإسلام هذا النوع من الهدايا وسماه غلولاً، لأنها بسبب الولاية فهي رشوة والرشوة خيانة، وكل من خان في شيء فقد غَلّ: ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ وإنما كانت خيانةً لأنها في الحقيقة لجماعة المسلمين فلا يختص بها دونهم، فهؤلاء عُمّال وموظفون والنبي الكريم ﷺ؛ قال: "هدايا العمال غلول" (أحمد والبيهقي وهو في صحيح الجامع الصغير: ٦٨٩٨)، والعامل هو كل موظف كلّف بمهمة أو خدمة عامة، وفي الصحيحين عن أبي حميد قال: (استعمل رسول الله رجلاً على صدقات بني سُليم يدعى ابن اللتبيّة، فلما جاء حاسبه قال: هذا مالكم وهذا هدية، فقال رسول الله ﷺ: "فهلا جلستَ في بيت أبيكَ وأمكَ حتى تأتيكَ هديتك إن كنتَ صادقاً" ... ثم قال: "والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله بحمله يوم القيامة ..." (فتح الباري: ٣٤٨/١٢).

مما سبق يتبين لنا أن القول في تحريم قبول الوالي ومن في حكمه للهدية واضح مع خوف الميل والتُهمة مع كون الإهداء لسبب الولاية لا بسبب خاص مثل الأقارب والأصدقاء الذين من عادتهم الإهداء له قبل الولاية.

قال الشافعي رحمه الله: (وما أهدى له ذو ترحم ومودّة كان يُهاديه قبل الولاية - فالترك أحبّ، ولا بأس أن يقبل ويتموّل) (ذكره ابن حجر الهيثمي -ت/٩٧٤هـ- في كتابه إيضاح الأحكام لما يأخذ العمل والحكام: ص/٤٩).

وقال الإمام أحمد: (من ولي شيئاً من أمر السلطان لا أجيز له يقبل شيئاً، والحاكم خاصةً لا أحب له، إلا مَن كان له به خلطة أو وصلة قبل أن يلي).

مسألة: (فإذا أخذ الوالي ومن في حكمه الهدية بسبب الولاية فإنه يجعلها في بيت المال بحيث ينتفع بها في الصالح العام).

١٠- هدية المفتي: "والمفتي يعتبر موظفاً عاماً وخاصة في هذا العصر":

فإذا كانت هدية المفتي نظراً لعلمه وصلاحه وتقواه، بقصد التحبب إليه في الله، فجائزة إن صدقت النية وكان المهدي من قرنائه أو أصدقائه أو أقاربه، أو كان ممن يعتاد المهاداة قبل تنصيبه.

أما إذا كان للهدية تأثير على الفتوى فلا شك أنها محرمة على الطرفين، لأن فيها شرط الإعانة، والهدية المشروطة بالإعانة غير جائزة.

وتأخذ الهدية حكم الرشوة أيضاً إذا كانت الفتوى حسبما يريد المهدي أو كان للمفتي عند المهدي نفع من مال أو جاه أو تكون للمهدي خصومة عند المفتي.

١١- هدية المدرس:

وشأن المدرس في عدم جواز قبول الهدية مقابل القيام بواجبه شأن سائر الموظفين فإذا كانت الهدية من باب المحبة والمودّة والتقرب إليه بعلمه وصلاحه فيجوز قبولها وكذلك ممن يعتاد المهاداة بينهم كالأقارب والأصدقاء والأقران.

أما إذا كانت الهدية من تلاميذ المدارس التي يدرّس فيها أو من أولياء أمورهم فغير جائزة لما يترتب عليها من محابة للطالب ومساعدة

له في الامتحان أو زيادة الدرجات وهذه هي الرشوة بعينها .

١٢- هدية الموظف العام :

والموظف هو كل من كُلف بمهمة أو خدمة عامة ومن في حكمه ، بصفة دائمة أو مؤقتة في الحكومة أو المصالح التابعة لها أو الهيئات العامة ، أو الشركات والمؤسسات العامة والخاصة ، ويطلق لفظ الموظف العام على العامل بالمصطلح الفقهي ، فالعامل هو كل من تولى أمراً من أمور المسلمين ، ويشمل أرباب المناصب العامة التي تخوّل لكل منهم القيام بعمل ما ، يستطيع من خلاله إلحاق نفع أو ضرر بغيره .

وقد حرم الإسلام هدايا العمّال ومن في حكمهم وسماها رشوةً تارةً وغلولاً تارةً أخرى ، ومرّ معنا حيث ابن اللتبيّة في الصحيحين أن رسول الله ﷺ استعمله على الصدقات ؛ فقال : هذا مالكم وهذا هدية ؛ فقال رسول الله ﷺ : "هلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتكَ ... ثم قال : وإليه لا تأخذ آخذٌ منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي إليه بحمله يوم القيامة .." (في : ٦٩٧٩) ، وعن أبي حميد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال : هدايا العمال غلول (أحمد والبيهقي صحيح الجامع : ٦٨٩٨ ، م/١٨٣٢) ، والله ﷻ قال : ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (آل العمران/١٦١) .

والخلاصة أن كل هدية كانت بسبب الوظيفة بحيث لو تجرد الموظف منها ما أهدي إليه فهي رشوة لا تجوز ولو كانت بسبب الوظيفة بحيث لو تجرد الموظف منها ما أهدي إليه فهي رشوة لا تجوز ولو كانت دعوة على طعام أو تملّقاً له ، أما إذا كانت الهدية للموظف ممن يعتاد المهاداة معهم كالأقارب والأصدقاء والزملاء ويقصد بها التقرب إلى الله تعالى ولتقوية المحبة والمودّة فهي جائزة .

١٣- هدية المشركين (غير المسلمين) :

الأصل قبول الهدية من المشركين والإهداء لهم إذا لم تكن رشوةً عن الدين أو للأفراد على باطل أو أنها سبب لتقوية هذا المشرك على المسلمين فيؤذيهم ، فحينئذ لا تجوز ، فقد قبل رسول الله الهدية من المشركين ، ففي الصحيحين عن أبي حميد فقال : (غزونا مع النبي الكريم تبوك وأهدي ملك أبلة له بغلةً بيضاء وكساهُ برداً) (البخاري : ٣١٦١ ، ومسلم : ١٣٩٢) ، وفي الصحيحين كذلك أن يهودية أتت النبي بشاة مسمومة فأكل منها (البخاري : ٢٦١٧ ، ومسلم : ٢١٩٠) ، وقبل رسول الله من المقوقس هديته وهي مارية رضي الله عنها أم إبراهيم ولذلك بوّب البخاري في صحيحه بقوله : (باب قبول الهدية من المشركين) (فتح الباري : ٥/٢٣١ ، حديث : ٢٦١٨) .

وهذا الجواز في هدية المشركين المسالمين الذين لم يحاربوا الإسلام والمسلمين وإذا كانت للتودّد ولم تقترن بطلب أو من تأليف قلوبهم ليدخلوا في الإسلام .

أما المشرك المحرب لدين الله فلا يجوز قبول هديته ولا إهداؤه لأن النبي الكريم ﷺ قال : "إني لا أقبل هدية مشرك" (رواه الطبراني وهو في صحيح الجامع : ٢٥١٤) ، وقال أيضاً : "إني نُهيت عن زَبْد المشركين" (رواه أبو داؤد والترمذي وهو في صحيح الجامع : ٢٥٠٥) ، وقال أيضاً : "أن لا تقبل شيئاً من المشركين" (رواه أحمد والحاكم وهو في صحيح الجامع : ٢٢٩٤) ، وفي المسألة ستة أقوال وهذا أرجحها والله أعلم ، (راجع فتح الباري : ٥/٢٣١ ، ونيل الأوطار : ٦/١٠٨ ، والمغني : ٨/٩٤٩٥) وكذلك قبول هداياهم بسبب أعيادهم الدينية لا يجوز عند الجمهور لأنه تعظيم لعيدهم وعون لهم على كفرهم ، وكذلك قبول هداياهم بسبب أعيادهم لأن ذلك إقرار لها ومعاونة على الكفر .

رجال من التاريخ المعاصر :

المحدث محمد يوسف البنوري وكتابه

(الحلقة الأخيرة)

معارف السنن شرح سنن الترمذي

الدكتور ولي الدين تقي الدين الندوي

أستاذ الحديث وعلومه المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية (دبي)

● **سادسا : اهتمامه ببيان المذاهب :**

على الرغم من أن البنوري حنفي المذهب لكنه اهتم بذكر مذاهب الأئمة الأربعة وأدلتهم ، من ذلك قال الترمذي (٩٣) : باب ما جاء في الصلاة قبل المغرب ، ذكر فيه حديث عبد الله بن مغفل عن النبي ﷺ قال : "بين كل آذانين صلاة إن شاء" .

شرح البنوري بقوله : الركعتان قبل المغرب : اختلف فيها الأئمة الأربعة ، فلم يقل بها أبو حنيفة ومالك ، وقال أحمد بالجواز فقط ، واختلف فيها قول الشافعي فذكر النووي في "شرح المهذب" استحبابها ، وذكر في "شرح مسلم" أن الأشهر عدم الاستحباب ، فإذن هو الجواز فقط مثل مذهب أحمد ، على وفق ما ذكره ابن قدامة في "المغني" وإن كان نقل الترمذي والحافظ في "الفتح" على خلافه ، وما ذهب إليه أبو حنيفة ومالك هو مذهب كثير من السلف كما ذكره ابن الهمام في "فتح القدير" والحافظ في "الفتح" (٩٤) .

وحديث الباب دليل للشافعية ، وأجيب عنه بأن المراد ،

(٩٣) سنن الترمذي ٣٥١/١ .

(٩٤) انظر فتح الباري ١٠٨/٢ ، وشرح صحيح مسلم للنووي ٩٦ ، والمغني لابن قدامة ٣٦٧/٢ ، وفتح القدير لابن همام ٢١٥/١ .

اللبث بين الأذان مقدار الصلاة ويرده ما في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن مغفل عن النبي الكريم ﷺ ، صلوا قبل صلاة المغرب (٩٥) .

بهذا الأسلوب استوفى البنوري البحث فيما يتعلق بهذه المسألة ، وساق الروايات كلها في هذا الباب وتكلم على بعضها إذا دعت الحاجة إليها من خلال ثلاث صفحات ونصف .

● **سابعا : دفاعه عن مذهب الإمام أبي حنيفة :**

كان الإمام البنوري حنفي المذهب ويظهر هذا من خلال تعامله مع المسائل الفقهية حيث نراه يتبع مذهبه في جميع المسائل ، ويقوم بالانتصار له ، فمن ذلك ، أخرج الترمذي من طريق أبي فزارة عن أبي زيد عن عبد الله بن مسعود قال سألني النبي ﷺ ما في إداوتك ؟ فقلت : نبيذ ، فقال : تمرة طيبة وماء طهور (٩٦) .

قلت : النبيذ : هو أن يلقى في الماء تميرات ويبقى رقيقا ، فلو توضأ به قبل أن يصير حلوا فيجوز بلا خلاف ، ولو توضأ به إذا أسكر فلا يجوز كذلك من غير خلاف ، والذي اختلفوا فيه هو : نبيذ التمر الرقيق السيال الحلو غير مسكر وغير مطبوخ وغير مشتد ، قال مالك والشافعي وأحمد وأبو يوسف : لا يجوز الوضوء به ، وروي عن أبي حنيفة التوضأ جزما (٩٧) .

قال الترمذي : وإنما روي هذا الحديث عن أبي زيد عن عبد الله عن النبي ﷺ ، وأبو زيد رجل مجهول عند أهل الحديث ، لا نعرف له رواية غير هذا الحديث (٩٨) .

(٩٥) معارف السنن ١٤٠/٢ . (٩٦) سنن الترمذي ١٤٧/١ باب ما جاء في الوضوء بالنبيذ .

(٩٧) معارف السنن ٣١٠/١ . (٩٨) سنن الترمذي ١٤٧/١ باب ما جاء في الوضوء بالنبيذ .

قال البنوري : ضعفه المحدثون بثلاث علل :

١ – بجهالة أبي زيد ،

٢ – والتردد في أبي فزارة هل هو راشد بن كيسان أو غيره ،

٣ – عدم حضورة معه ليلة الجن .

وأجاب البنوري عن هذه العلل الثلاث بالأجوبة التي أجاب بها المحدثون الحنفيون ، من ذلك الأول : أن أبا زيد مولى عمرو بن حريث روى عنه راشد بن كيسان وأبو روق عطية بن الحارث ، فخرج من الجهالة ،ثم لم يتفرد هو بل تابعه أربعة عشر رجلا عن ابن مسعود كما في "عمدة القاري" و "نصب الراية" للزيلعي (٩٩) .

وأجاب عن العلة الثانية بأن أبا فزارة هو راشد بن نيسان العبسي صرح به ابن معين وابن عدي والدار قطني وابن عبد البر والبيهقي ، راجع التفصيل في "نصب الراية" .

وأما الجواب عن الثالث : فهو أن وفادة الجن متعددة ، وقد صرح القاضي بدر الدين الشبلي الحنفي من حفاظ الحديث في كتابه "آكام المرجان" (١٠٠) أنها تعددت ست مرات كما يظهر من الأحاديث ، وقول ابن مسعود : "ما شهدها منا أحد" المراد به ما شهدها منا أحد غيري نفيا لمشاركته كما أشار إلى ذلك صاحب "الجوهر النقي" (١٠١) .

ثم ذكر البنوري الأدلة الكثيرة من السنة خلال ست صفحات من الكتاب وأثبت أن مذهب الإمام أبي حنيفة على السنة ، وكذا في مسألة الإسفار بالفجر : ذهب مالك والشافعي وأحمد إلى أن التغليس بالفجر مستحب بداية ونهاية .

---

(٩٩) نصب الراية للزيلعي ١٣٧/١-١٤٧ وعمدة القاري ٦٨٣/٢ . (١٠٠) ص/٧ .

(١٠١) الجوهر النقي ١٠١/١ معارف السنن ٣٦٠/١ .

وذهب أبو حنيفة وسفيان الثوري إلى أن الإسفار به أفضل بداية ونهاية ، وذكر الإمام البنوري روايات كثيرة تدل على الإسفار بعد دراسة طويلة انتهى إلى قوله : فالراجح عند الإنصاف هو مذهب الإسفار كما قاله الحنفية (١٠٢) .

● **ثامنا : الجمع بين الحديثين المختلفين :**

نرى العلامة البنوري حاول في شرحه الجمع بين الحديثين المختلفين .

من ذلك حديث جابر عند مسلم "فنحر ثلاثا وستين بيده ثم أعطى عليا فنحر ما غبر" (١٠٣) الحديث ، وورد في رواية أبي داود من حديث علي "نحر النبي ﷺ ثلاثين بدنة وأمرني فنحرت سائرها" (١٠٤) .

قال البنوري : طريق الجمع على ما ذكره البدر العيني والحافظ العسقلاني (١٠٥) أن النبي ﷺ نحر ثلاثين ثم أمر عليا أن ينحر سبعا وثلاثين مثلا ، ثم نحر النبي ﷺ ثلاثا وثلاثين ، هذا طريق يتأتى ذلك ، وإلا فالذي رواه مسلم أصح (١٠٦) .

ثم يقول البنوري : اختار ابن القيم (١٠٧) منحى آخر في حديث أحمد وأبي داود فقال : هذا غلط ، انقلب على الراوي ، فإن النبي ﷺ نحر سبعا بيده لم يشاهده علي ولا جابر ، ثم نحر ثلاثا وستين أخرى ، فبقي من المائة ثلاثون فنحرها علي .

---

(١٠٢) معارف السنن ص/٣٩ ، ٤٤ . (١٠٣) أخرجه مسلم (١٢١٨) .

(١٠٤) أخرجه أبو داود (١٧٦٤) في باب الهدي إذا عطب ، وأحمد في مسنده (١٣٧٤) ، وفيه تدليس ابن إسحاق ، انظر بذل المجهود ٣٦٠/٨ .

(١٠٥) فتح الباري ٥٥٥/٣ ، وعمدة القاري ٣٢٥/٧ . (١٠٦) معارف السنن (٢٢/٦) .

(١٠٧ زاد المعاد لابن القيم ٢٤١/٢ .

وكذا ورد في رواية أبي داود (١٠٨) "أنه ﷺ نحر خمس بدن" وتعرض المحدثون إلى إعلالها .

قال البنوري : قال شيخنا : محمله عندي أنه نحر ثلاثا وستين في مجلس ثم في آخر نحر خمسا ، فلا منافاة بين الروايتين .

ويقول صاحب : "الهدي" : فإن المائة لم تقرب إليه جملة ، وإنما كانت تقرب إليه أرسالا ، فقرب منهن إليه خمس بدنات رسلا .

ومن ذلك ، أخرج الترمذي (١٠٩) من طريق عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله أن معاذ بن جبل كان يصلي مع رسول ﷺ المغرب ثم يرجع إلى قومه فيؤمهم .

وقال البنوري : عمرو بن دينار وأبو الزبير وعبيد الله بن مقسم عن جابر : "العشاء" أعل البيهقي في كتابه "السنن الكبرى" لفظ المغرب ، فقال : كذا قال محارب بن دثار عن جابر : المغرب ، وقال عمرو بن دينار وأبو الزبير وعبد الله بن مقسم عن جابر : العشاء ، ثم ذكر رواياتهم وقال : رواية العشاء أصح ، وكذا قال الحافظ (١١٠) : معظم الروايات على العشاء .

قال البنوري : محارب بن دثار ليس بمتفرد بل تابعه فيه أبو الزبير عند عبد الرزاق كما في "الفتح" ، وطالب بن حبيب عند أبي داود في باب تخفيف الصلاة ، والبيهقي في "الكبرى" كلهم عن جابر ، ورواية محارب بن دثار أخرجها أبو عوانة وأحمد والنسائي والطحاوي وابن حبان والبيهقي وغيرهم (١١١) ، ورجال أحمد

(١٠٨) أخرجه أبو داود (١٧٦٥) من حديث عبد الله بن قرط ، وأخرجه أحمد (١٩٠٧٥) .

(١٠٩) أخرجه الترمذي (٥٨٣) والبيهقي ١١٦/٣-١١٧ . (١١٠) فتح الباري ١٩٣/٢ .

(١١١) أخرج أبو داود رواية محارب بن دثار (٧٩١) ، والنسائي ٩٧/٢ ، وأحمد ٢٩٩/٣ ، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٦٢٥) ، والبيهقي ١١٦/٣ ، وأبو عوانة ١٥٨/٢ ، والطحاوي ٢١٣/١ .

والنسائي والطحاوي رجال الصحيح فلا وجه لإعلاله ، وكذا لا وجه لترجيح رواية العشاء أيضا ، فالقول بتعدد القضية هو الصواب ، قال الحافظ في "التلخيص" : وممن جمع بينهما بذلك ابن حبان في "صحيحه" ، وقال في "الفتح" : وجمع بعضهم بين هذا الاختلاف بأنهما واقعتان (١١٢) .

● **تاسعا : رده على المباركفوري :**

كان المباركفوري يرى عدم التقليد لأحد الأئمة الأربعة لذلك نرى أنه أكثر الرد على الحنفية خاصة وعلى المذاهب الأخرى عامة ؛ فنظرا لهذا السبب نرى أن البنوري قد اهتم بالرد على المباركفوري ، وهو واضح في كثير من المواضع من الكتاب .

ومن ذلك ذكر الإمام محمد في كتاب "الآثار" (١١٣) أثرا من طريق الإمام أبي حنيفة ، ثنا الحارث بن عبد الرحمان عن ابن عباس ، وفيه صفة صلاة الخوف .

قال المباركفوري : الحارث هذا إن كان هو الأعور فقد كذبه الشعبي وابن المديني وإن كان غيره فلا أدري من هو (١١٤) ؟

تعقب عليه البنوري بقوله : هو أبو هند الحارث بن عبد الرحمان الكوفي من رجال البخاري في "التاريخ" ومن رجال النسائي في "جزء علي" وهو من شيوخ الإمام أبي حنيفة كما في كتاب "التهذيب" وذكره ابن حبان في الثقات (١١٥) .

(١١٢) معارف السنن (١٠٦/٥) وانظر فتح الباري ١٩٤/٢ ، تهذيب التهذيب ٤٩/١٠ .

(١١٣) كتاب الآثار للإمام محمد (ص/٣٩) . (١١٤) تحفة الأحوذي (٣٩٤/١) .

(١١٥) انظر ترجمته في تهذيب الكمال ٣٨١/٢٤ ، وتهذيب التهذيب ٢٩٣/١٢ والثقات ٦٦٦/٧ .

وقد خفي على المباركفوري في "تحفته" مع تصحيف ابن عبد الرحمان عنده بعن عبد الرحمان (١١٦)فنلاحظ هنا أن المباركفوري قد أخطأ فجعله الحارث عن عبد الرحمان بدلا من الحارث بن عبد الرحمان .

قلت ذكر الحافظ ابن حجر تراجم رواة "كتاب الآثار" في كتاب سماه "الإيثار بمعرفة "رواة الآثار" (١١٧) ولم يذكر فيه ترجمة الحارث الأعور إنما ذكر ترجمة الحارث بن عبد الرحمان عن ابن عباس وعنه أبو حنيفة .

ومن ذلك : أخرج الترمذي (١١٨) بسنده عن ابن شهاب أن السائب بن يزيد وعبيد الله أخبراه عن عبد الرحمان عن عبد القاري قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله ﷺ من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر .

قال المباركفوري : عبيد الله هذا هو ابن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري (١١٩) .

رد عليه البنوري بقوله : وهو خطأ من وجوه لا تخفى على من تصفح كتب الرجال ، وعبيد الله بن عمر بن حفص يروي عن الزهري ، وههنا يروي الزهري عنه وعبيد الله ههنا يروي عن عبد الرحمان القاري ، ولا رواية لابن عمر بن حفص عنه أصلا ، وعبيد الله المذكور هنا من الطبقة الثالثة على اصطلاح صاحب "التقريب" وما ذكره صاحب "التحفة" من الطبقة الخامسة وشتان بينهما ، وعبيد الله هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود من رجال الجماعة من فقهاء المدينة

---

(١١٦) معارف السنن للبنوري (٤٢/٥) .

(١١٧) ص/٦ .

(١١٨) سنن الترمذي (٥٨١) باب ما ذكر في من فاته حزبه من الليل فقضاه بالنهار .

(١١٩) تحفة الأحوذي (٤٠٣/١) .

العشرة ثم السبعة (١٢٠) .

قلت : في رواية مسلم رواية مسند أبي يعلى صراحة أن عبيد الله هو ابن عبد الله (١٢١) .

ومن ذلك أيضا ما أخرجه الترمذي من طريق عامر بن صالح الزبيري نا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : أمر النبي ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب (١٢٢) .

ثم ذكر الترمذي سندا آخر من طريق وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلا ، قال الترمذي : هذا أصح من الحديث الأول ، وإليه ذهب صاحب "التحفة" .

قال البنوري : يريد بيان أن المرسل أصح ، فإن المرفوع من طريق عامر بن صالح الزبيري وهو متروك الحديث كما في "التقريب" (١٢٣) .

قال الراقم (البنوري) : وقد تابعه زائدة عند أبي داؤد وعند ابن ماجة وهو ابن قدامة ، ثقة ثبت من رجال الستة ، وكذا تابعه مالك بن سعير عند ابن ماجة ولا بأس به ، فالمرفوع صحيح أيضا ، ولا وجه لترجيح حديث وكيع وسفيان بعد كون الرفع زيادة وهي

---

(١٢٠) معارف السنن (٨٩/٥) وانظر التقريب ص/٣٧٢ .

(١٢١) صحيح مسلم (٧٤٧) ومسند أبي يعلي (٣٣٥) .

(١٢٢) أخرجه الترمذي (٥٩٤) باب ما ذكر في تطييب المساجد ، وأحمد في مسنده (٢٦٣٨٦) وابن علي من طريق عامر بن صالح وأخرجه أبو داود (٤٥٥) وابن ماجة (٧٥٩) وأبو يعلى (٤٦٩٨) وابن حبان (١٦٣٤) من طريق زائدة بن قدامة ، وأخرجه ابن ماجة (٧٥٨) وابن خزيمة من طريق مالك بن سعير متصلا .

(١٢٣) تقريب التهذيب ص/٢٨٧ .

مقبولة عن ثقة (١٢٤) .

● **عاشرا : استدراكه على شراح الحديث :**

حينما ألف الإمام البنوري هذا الشرح وضع أمامه الكتب الحديثية والكتب المتعلقة بشرح الحديث وإذا وجد خطأ أو وهما نبه عليه فجاءت هذه الاستدراكات من نواح شتى .

من ذلك رده على المحدث أحمد علي السهارنفوري (١٢٥) قال الترمذي : لم ير يحيى بحديثه بأسا .

قال السهارنفوري : أي يحيى بن معين ، رد عليه البنوري بقوله: وما ذكره بعض المحشين في النسخة المطبوعة بالهند ابن معين فهو خطأ صريح ، إنما المراد به يحيى بن سعيد القطان (١٢٦) .

ومن ذلك أيضا : أخرج الترمذي (١٢٧) من حديث ابن عباس قال : سجد رسول الله ﷺ فيها ، يعني "النجم" والمسلمون والمشركون .

قال البنوري : المراد بالغرانيق الملائكة دون أصنامهم ، وظنها قريش أصناما لهم فسجدوا ، ثم نسخت ، ثم قال البنوري : قال الشيخ أنور الشاه الكشميري : هذا القول أقرب إلى التحقيق ، وتشبيه الملائكة بالغرانيق يلائم دون تشبيه الأصنام بها ، ويدل عليه حديثان مرسلان كلاهما بإسناد صحيح ، ذكرهما البدر العيني والحافظ ابن حجر ، ووقع في "العرف الشذي" (١٢٨) (روايتين مرفوعتين بدل

(١٢٤) معارف السنن (١٢٨/٥) .

(١٢٥) حاشية المحدث أحمد علي السهار نفوري على الترمذي (٤٢/١) .

(١٢٦) انظر معارف السنن ، (٤٨/٢) .

(١٢٧) سنن الترمذي (٥٧٥) باب ما جاء في السجدة في النجم .

(١٢٨) العرف الشذي (ص/٢٥١) .

مرسلتين) وهو خطأ في الضبط ولذا أنكر صاحب "التحفة" على صاحب "العرف الشذي" (١٢٩) .

ومن ذلك قال الترمذي : كرهوا أن يتعجل الرجل بصيام قبل دخول شهر رمضان لمعنى رمضان ، قال البنوري (١٣٠) : لمعنى رمضان أي مراعاة لرمضان ، ولا يصح تفسيره بتعظيم رمضان ، كما في حاشية المطبوعة (١٣١) بالهند ، والحديث الذي تقدم في الزكاة وفيه "لتعظيم رمضان" ضعيف كما تقدم في "باب ما جاء أن في المال حقا سوى الزكاة" ، من حديث أنس ، وضعفه الترمذي بصدقة ابن موسى ، وكذا النسائي (١٣٢) .

● **الحادي عشر : خطأه في الاستدراك :**

نجد البنوري أحيانا يخطئ في استدراكه على صاحب "تحفة الأحوذي" من ذلك : أخرج الترمذي (١٣٣) من حديث ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يرمي الجمار إذا زالت الشمس .

قال المباركفوري (١٣٤) : أخرجه أحمد وابن ماجة ، وتعقبه البنوري بقوله : أخطأ صاحب "التحفة" في عزوه إلى ابن ماجة .

قلت : لعل البنوري (١٣٥) اعتمد على تخريج فؤاد عبد الباقي

(١٢٩) معارف السنن (٦٩/٥) ، وتحفة الأحوذي (٣٩٩/٢) . (١٣٠) معارف السنن (٣٣٦/٥) .

(١٣١) (ص/١٠٦) حاشية الترمذي للطبعة الهندية .

(١٣٢) معارف السنن (٣٣٠/٥) قلت هذا من سبق قلم البنوري إذ أشار إلى حديث أنس في باب ما جاء أن في المل حقا سوى الزكة والحديث في تعظيم رمضان ، ورد في "باب ما جاء في فضل الصدقة" .

(١٣٣) سنن الترمذي (٨٩٨) باب ما جاء في الرمي بعد زوال الشمس .

(١٣٤) تحفة الأحوذي ٧٦٠/٣ .

(١٣٥) معارف السنن ٢٣٩/٦ .

للترمذي حيث قال : لم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى الترمذي .

والصواب أن هذا الحديث أخرجه ابن ملجة (١٣٦) أيضا في المناسك باب رمي الجمار أيام التشريق .

ومن ذلك أخرج الترمذي من حديث عائشة طيبت رسول الله ﷺ قبل أن يحرم ويوم النحر قبل أن يطوف بالبيت بطيب فيه مسك ، قال الترمذي : والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم ، وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق ، وقد روي عن عمر بن خطاب أنه قال : حل له كل شيء إلا النساء والطيب ، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم ، وهو قول أهل الكوفة .

علق البنوري بقوله : وما ذكره الترمذي عن عدم الجواز قول أهل الكوفة ، فليس هو مذهب أهل الكوفة من الإمام أبي حنيفة وأصحابه بل هو مذهب محمد بن الحسن الشيباني من أصحابه كما صرح به في "الموطأ" ثم يقول البنوري : ما ذكره الشيخ المباركفوري في "تحفته" معزوا إلى "الموطأ" فقد غلط في نقل عبارته (١٣٧) .

نرى العلامة البنوري قد أخطأ مرتين ، مرة حينما فرق بين مذهب الإمام أبي حنيفة والإمام محمد بن حسن ؛ لأن الإمام محمدا بعد ذكر رواية عائشة رضي الله عنها قال : فأخذنا بقولها ، وعليه أبو حنيفة والعامة من فقهائنا (١٣٨) ، ومرة ثانية حينما انتقد المباركفوري ؛

(١٣٦) سنن ابن ملجة (٣٠٥٤) وأحمد (٢٢٣٦) .

(١٣٧) معارف السنن (٢٩٢/٦) .

(١٣٨) التعليق الممجد شرح الموطأ محمد (٤٠٤/٢) .

لأنه أخطأ وغلط في نقل عبارته من "الموطأ" برواية الإمام محمد ، أقول : نقل المباركفوري العبارة من الموطأ بوجه صحيح (١٣٩) .

● **الثاني عشر : شرحه لاصطلاح الترمذي**

قام البنوري بشرح اصطلاح الترمذي ، من ذلك قال الترمذي : حدثنا قتيبة نا الليث عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير وطاوس عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد ..... ثم قال الترمذي : روى أيمن بن نابل هذا الحديث عن ابن الزبير عن جابر وهو غير محفوظ (١٤٠) .

قال البنوري : قوله : غير محفوظ ؛ لأن نابل وإن كان ثقة لكنه لم يتابعه أحد ، قال النسائي بعد تخريجه : لا نعلم أحدا تابع أيمن على هذا وهو خطأ ، والليث أوثق منه وتوبع عليه أيضا (١٤١) .

ومن ذلك أيضا قول الترمذي : "أصح شيء في الباب وأحسن" .

قال البنوري : لا يلزم من قول الترمذي هذا أن يكون الحديث صحيحا في نفسه ، وغرضه أنه أعلى حديث في الباب ، وربما يكون هو غير صحيح بل غير حسن (١٤٢) .

● **الثالث عشر : تعريفه بالأمكنة**

عرف البنوري أسماء الأمكنة التي مرت ففي شرح الحديث من ذلك : قباء ، قال : قباء ست لغات المد ، والقصر ، والتذكير ، والتأنيث ، والصرف ، والمنع (١٤٣) .

ثم قال : قباء موضع على ثلاثة أميال من المدينة في عوالي

(١٣٩) تحفة الأحوذي (١١٠/٢) .

(١٤٠) سنن الترمذي ٨٣/٢ ومعارف السنن ٩٣/٣ .

(١٤١) سنن النسائي ٤٣/٣ .

(١٤٢) معارف السنن ٣٥/١ .

(١٤٣) معارف السنن ٤٣٦/٤ .

المدينة من بني عمرو بن عوف .

ومن ذلك أيضا قوله : سرف بفتح السين المهملة وكسر الراء المهملة آخره فاء ، موضع على بعد عشرة أميال من مكة ، وقيل : ستة ، بها تزوج ﷺ ميمونة وبنى بها ، وبها توفيت رضي الله عنها (١٤٤) .

• خاتمة البحث

- توصل الباحث إلى أن المحدث البنوري ولد وترعرع في جو ديني وعلمي وحصل العلم من صباه ، من بعض علماء "بيشاور" ، ثم ذهب مع والده إلى "كابل" واستفاد من بعض علمائها ، ثم رحل إلى الهند "أزهر الهند" دار العلوم ديوبند ، ثم أكمل فيها دراسته واستفاد من شيخه الإمام المحدث أنور شاه الكشميري استفادة كبيرة .

- درس البنوري العلوم المختلفة ولا سيما علم الحديث في مدارس الهند وباكستان ، وأقام معهدا شرعيا لتربية الطلبة وتدريبهم .

- قاوم البنوري الحركات الهدامة وخاصة القاديانية ، واختار لذلك أسلوبا مختلفا ، وكذا وقف البنوري ضد الملحدين والمارقين عن الدين الإسلامي وفند ادعاءاتهم ضد الإسلام والمسلمين .

- شرح البنوري سنن الترمذي من نواح عديدة فشرح الألفاظ الغريبة وبين غرض الإمام الترمذي من تبويبه ، ونبه على علل الحديث ، ودافع عن مذهب الإمام أبي حنيفة بالدلائل النقلية والعقلية ، ومن هنا يمتاز هذا الشرح عن غيره من شروح سنن الترمذي ، كذا قام بالرد على الانتقادات التي أثارها المباركفوري في شرحه "تحفة الأحوذي" .

والله الموفق

(١٤٤) معارف السنن ٣٣٧/٦ .

جريمة الزنا وأثرها في مسألة المصاهرة

(الحلقة الأولى)

بقلم : الأستاذ الدكتور مسعود أحمد الأعظمي

مما ينبغي أن يعلم أن الإسلام قد حرم على كل رجل نكاح أنواع من النساء ، فما من رجل إلا وله من الصلة والعلاقة ببعض النساء ما يحرم عليه أن يتزوجها ، والحرمة تكون لعدة أوجه ، منها الحرمة التي تكون من قِبل النسب ، والمحرمات النسبية هنّ السبع المذكورات في القرآن الكريم : الأمهات ، والبنات ، والأخوات ، والعمات ، والخالات ، وبنات الأخ ، وبنات الأخت ، والأصل فيه قوله ﷻ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ (الآية) .

ومن أنواع الحرمة ما يكون بالمصاهرة ، والمحرمات من هذا القبيل أربع ، وهنّ :

زوجات الآباء ؛ لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلاَ تَنْكِحُوْا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ (الآية) .

وزوجات الأبناء ؛ لقوله سبحانه : ﴿ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِيْنَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ ﴾ .

وأمهات الزوجات ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ﴾ .

وبنات الزوجات ؛ لقوله ﷻ : ﴿ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِيْ فِيْ حُجُوْرِكُمْ مِّنْ نِسَائِكُمُ اللاَّتِيْ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾ .

هذا ما اتفق عليه الأئمة والفقهاء ، ولكن اختلفوا في أن هذا النوع من الحرمة - حرمة المصاهرة - هل تثبت بالزنا ، كما ثبتت بالنكاح الصحيح والشبهة ، قال الفقيه الفيلسوف العلامة ابن رشد

القرطبي في كتاب (بداية المجتهد : ٣٣/٢) ما نصه : "واختلفوا هل يوجب الزنا من هذا التحريم ما يوجبه النكاح الصحيح أو النكاح بشبهة" .

وهذا الاختلاف ليس بطارف فيما بين الأئمة الأربعة ، بل وقع فيما بين المتقدمين أيضاً .

📖 **المانعون من ثبوت الحرمة بالزنا :**

ذهب الإمام الشافعي إلى أن "الزنا بالمرأة لا يحرم نكاح أمها ولا ابنتها ، ولا نكاح أبي الزاني لها ولا ابنه" (بداية المجتهد : ٣٤/٢) .

وقال الإمام المحدث يحيى بن شرف النووي في كتاب (روضة الطالبين : ١١٣/٧) : "الزنا لا يثبت المصاهرة ، فللزاني نكاح أم المزني بها وبنتها ، ولأبيه وابنه نكاحها" .

و قال العلامة الفقيه شمس الدين الرملي في كتاب (نهاية المحتاج : ٢٧٥/٦) : "فلا يثبت لها ولا لأحد من أصولها وفروعها حرمة مصاهرة بالزنا الحقيقي" .

مذهب الإمام مالك :

وإليه ذهب الإمام مالك رحمه الله ، فجاء في كتابه (المؤطا : ص/٩٣) ما نصه : "قال في الرجل يزني بالمرأة ، فيقام عليه الحد فيها : أنه ينكح ابنتها ، وينكحها ابنه إن شاء ، وذلك أنه أصابها حراماً ، وإنما الذي حرم الله ما أصيب بالحلال ، أو على وجه الشبهة بالنكاح".

فدلّت هذه الرواية على أن الإمام لا يثبت الحرمة بالزنا ، واختاره العامة من فقهاء المالكية ، ولكنه قد رُوي عنه خلافه في رواية أخرى ، فروى عنه تلميذه وصاحبه الإمام عبد الرحمن بن القاسم ما أورده ابن سحنون في (المدونة الكبرى : ٢٧٨/٣) ؛ حيث قال : "سمعت

مالكاً غير مرة ، وسئل عن الرجل يزني بأم امرأته ، أو يتلذذ بها فيما دون الفرج ؟ فقال : أرى أن يفارق امرأته ، فكذلك الرجل عندي إذا زنى بامرأة لم ينبغ لابنه ولا لأبيه أن يتزوجاها أبداً ، وهو رأيي الذي آخذ به" .

وقد ورد نحوه في المدونة في غير موضع ، منها ما قاله ابن القاسم : "الذي آخذ به أنه لا ينبغي لرجل ولا لابنه أن يخبرا امرأة واحدة ، كما كره مالك أن يخبُر الرجل الواحد المرأة وابنتها" .

ثم قال : "وأنا أرى إذا زنى الرجل بامرأة ابنه أن يفارقها الابن ولا يقيم عليها" .

فتحقق من ذلك كله أن اختيار الإمام عبد الرحمن بن القاسم هو ثبوت الحرمة ، ولكنه قد سلف أن مذهب المالكية عامة هو عدم الثبوت ، قال الإمام سحنون بن سعيد التنوخي راوي المدونة عن ابن القاسم : "وهذا خلاف ما قال لنا مالك في موطئه ، وأصحابه على ما في الموطأ ، ليس بينهم فيه اختلاف ، وهو الأمر عندهم" .

ومما يستوجب النظر أن روايات المدونة من الكثرة بمكان ، لا يحسن التغاضي عنها ، فلابد من توجيه يطّبق به بين الروايات المختلفة ، ويدفع التعارض الواقع بينها ، وصورة الجمع أن المرأة لا تحرم على الزوج – عند عامة المالكية – بحيث لا يحل لها البقاء في العقد ، ولكنه لا يخلو من نوع كراهة ، فكان الأحرى للزوج أن يفارقها في مثل تلك الظروف ، قال الزرقاني في شرح (الموطأ : ١٤١/٣) : "وقوله في المدونة : إن زنا بأم زوجته ، أو ابنتها ، فليفارقها ؛ حمله الأكثر على الوجوب ، واللخمي وابن رشد : على الكراهة ، أي كراهة البقاء معها واستحباب فراقها" .

وهو - أي عدم ثبوت الحرمة - قول ابن شهاب الزهري (١) ، والليث بن سعد ، كما حكاه ابن عبد البر في (الاستنكار : ٤٦٧/٤) وابن حزم في (المحلى : ١٤٨/٩) .

واختاره الإمام أبو ثور ، كما ذكره الإمام النووي في شرح صحيح (مسلم : ٤٧١/١) والشيخ أمين محمود الخطاب في تكملة المنهل العذب المورود .

وهو مذهب ربيعة بن عبد الرحمن وداؤد الظاهري ، كما في الاستذكار ، واختلفت الروايات عن سعيد بن المسيب ، ومجاهد ، والحسن البصري في ثبوت الحرمة وعدمه .

أدلة الإمام الشافعي ومن معه من أهل العلم :

تمسك هؤلآء بما قال الله ﷻ في كتابه العظيم : ﴿ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾ ، وجه الاستدلال بهذه الآية قد ذكره العلامة الكاساني في (بدائع الصنائع : ٥٣٦/٢) فقال : "حرّم الربائب المضافة إلى نسائنا المدخولات ، وإنما تكون المرأة مضافة إلينا بالنكاح ، فكان الدخول بالنكاح شرط ثبوت الحرمة ، وهذا دخول بلا نكاح ، فلا تثبت به الحرمة" .

وحجتهم أيضاً ما رواه ابن ماجة في (سننه : ص/١٤٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي الكريم ﷺ قال : "لا يُحرّم الحرام الحلال" .

وما رواه الدارقطني في (سننه : ٤٠٢/٢) عن عائشة عن النبي الكريم ﷺ أنه قال : "لا يحرم الحرام الحلال ، إنما يحرم ما كان نكاحاً

(١) لكن يُروى عنه خلافه أيضاً كما سنذكره فيما بعد .

حلالاً" .

واستشهدوا بما رواه البيهقي في (السنن الكبرى : ١٦٧/٧) عن علي موقوفاً أنه قال : الحرام لا يحرّم الحلال .

وبما رواه ابن أبي شيبة في (المصنف : ١٦٥/٤) عن ابن عباس أنه قال : "حرمتان أن تخطاهما ولا يحرمهما ذلك عليه .

تلك أسماء المحدثين والأئمة المجتهدين المانعين ثبوت حرمة المصاهرة بجريمة الزنا ، مع بيان دلائلهم ، وقد توسّع الإمام الشافعي رحمه الله في هذه المسألة ، حتى أجاز نكاح الزاني ابنته التي تولدت بسبب زناه ، ذكره الإمام النووي في شرح مسلم ؛ حيث قال : "بل زاد الشافعي فجوز نكاح البنت المتولدة من مائه بالزنا" .

القائلون بثبوت حرمة المصاهرة :

نريد أن نقدّم فيما يلي ، ما عثرنا عليه من أقوال العلماء ومذاهب الأئمة في ثبوت حرمة المصاهرة بالزنا ، وهو أنه لو زنى رجل بامرأة ، لا يحل لذلك الرجل أن ينكح بأم تلك المرأة ولا ابنتها ، وكذلك على العكس ، أي لا يحل لتلك المرأة أن تتزوج بأبي الزاني ولا ابنه ، وهذا هو مذهب كثير من الأئمة وأماثل الأمة ، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، قال ابن حزم في (المحلى : ١٤٧/٩) : "وهذا قول أبي حنيفة وجماعة من السلف" .

وقال الإمام النووي في شرح مسلم : وبهذا قال أبو حنيفة والأوزاعي والثوري وأحمد .

وقال الشيخ أمين محمود الخطاب في (التكملة : ٢٨١/٤) : "وبهذا قال جمهور الصحابة والتابعين ، والحنفيون ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي ، وأحمد" .

وهو مذهب إسحاق بن راهويه كما ذكره الحافظ في (فتح الباري : ٦١/٩) .

وقد وقع الوهم من العلامة الزرقاني في شرح (الموطأ : ١٤١/٣) حيث ذكر مذهب الإمام أحمد موافقاً لمذهب الإمام الشافعي ، مع أن سائر العلماء والمصنفين قد صرّحوا بموافقته للحنفية ، كما سبق نص الإمام النووي ، والشيخ أمين الخطاب ، وقد ذكره الحافظ ابن حجر أيضاً في (الفتح : ٦١/٩) .

وأعظم من ذلك كله أنه منصوص في كتاب الحنابلة ، فقال العلامة أبو القاسم الخرقي في مختصره : "و وطء الحرام محرِّم كما يحرِّم وطء الحلال والشبهة" (المغني : ٤٨٢/٧) .

وشرحه العلامة موفق الدين أبو محمد عبد الله بن قدامة الحنبلي في كتاب (المغني : ٤٨٢/٧) : "يعني أنه يثبت به تحريم المصاهرة ، فإذا زنا بامرأة حرمت على أبيه وابنه ، وحرمت عليه أمها وبنتها ، كما لو وطئها بشبهة أو حلالاً ، ولو وطئ أم امرأته أو بنتها ، حرمت عليه امرأته ، نص أحمد على هذا في رواية جماعة" .

فثبت بهذا وتحقق أن قول التحريم مجمع عليه في مذهب الإمام أحمد ، وأن عداده في القائلين بعدم التحريم ليس إلا وهم أوزلة قلم .

وقال العلامة المفسر السيد محمود الآلوسي في كتاب (روح المعاني : ٢٤٦/٤) إن التحريم هو مذهب الإمامية أيضاً .

(يتبع)

***

دراسات و أبحاث:

الكتابة العربية

بقلم : أ.د/محمد السيد علي البلاسي
(جمهورية مصر العربية)

أجمع الكثير من الباحثين في علوم الآثار وعلوم الخطاطة (علم استخراج الخطوط القديمة) على أن أبجديات الحروف العربية قد اشتقت من حروف الخط النبطي المتأخر (١) .

و النبط قوم ينحدر أصلهم من الساميين نسبة إلى سام بن نوح ، عرفوا بأنهم قبائل عربية متجولة ، تحضروا واستخدموا الآرامية لغة كتابية لهم ، وكانت العربية لغة حياتهم اليومية .

ولقد أسس النبط في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد مملكة في شمال الجزيرة العربية وجنوب فلسطين وبلاد الشام ، كانت عاصمتهم سلح (بترا) الواقعة في وادي موسى بالقرب من معان ، استمرت حتى سنة (١٠٦/بعد الميلاد) حين فتحها حاكم الرومان على سوريا ، واستولى على عاصمتها (بترا) (٢) .

وقد لاحظ الباحثون الذين تتبعوا تاريخ تطور الخط النبطي : أن الكتابات النبطية القديمة اختلفت عن تلك التي كتبت في وقت متأخر ، حيث أخذت الحروف النبطية المتأخرة بالاستدارة والنقوش والاتصال بعضها ببعض في الكلمة الواحدة حتى اضمحلت أخيراً في النموذج الجديد وهو الحرف العربي .

(١) رسم المصحف .. دراسة لغوية تاريخية : د/غانم قدوري الحمد : ص/٤٤ .

(٢) تاريخ كتابة المصحف الشريف : د/محمد زايد يوسف : ص/١٥-١٦ .

و وجد البلحثون تشابهاً واضحاً بين أبجديات الحرف العربي المبكر مع أبجديات الحروف النبطية المتأخرة ، كما لاحظوا وجود الأربطة التي تميز الخط العربي في الخط النبطي المتأخر ، وعدم وجود تنقيط للحروف في الخط النبطي مثل الخط العربي المبكر ، إضافة إلى ذلك وجد البلحثون أن ترتيب أبجديات الحروف العربية هو نفس ترتيبها في الأبجدية النبطية ، و هو الترتيب المعروف بـ " أبجد ؛ هوز... (٣) " .

ويرى أحد البلحثين : أن أبجديات الحرف العربي اشتقت من النبطي المتأخر في الجزيرة العربية في الحجاز ، واستقر في يثرب قبل الإسلام ، ومنها انتقل مع الفتح الإسلامي إلى الحيرة وغيرها من دول العالم ، وليس العكس - كما يقول المستشرقون - الذين يدعون انتقال الكتابة من الحيرة إلى مكة عن طريق دومة الجندل (٤) .

ولقد استقل الحرف العربي استقلالاً تاماً قبيل نزول القرآن الكريم ، ولعل هذا لحكمة سامية - فيما نرى - على أن القرآن الكريم بلسان عربي مبين لفظاً وخطاً !

يقول أحد البلحثين : لقد أصبحت اللغة العربية مقروءة ، بعد تكامل أبجديات حروفها الثمانية والعشرين في ذلك الوقت من عام (٥٢٨م) الموافق (القرن السادس الميلادي) حيث شرفها الله - سبحانه

(٣) المرجع السابق : ص/١٦، نقلاً عن : أصل الخط العربي : د/خليل يحيى نامي : ص/٣٦-٨٤ ، والأبجديات العربية القديمة ونشأة الخط العربي : د/عبد المنعم عبد الحليم سعد : ص/٢٥٧-٢٥٨ .

(٤) الأبجديات العربية القديمة ونشأة الخط العربي : د/عبد المنعم عبد الحليم سعد : ص/٢٩٤ .

وتعالى - بأن كتب قرآنه الشريف بلسان عربي مبين ...

ولقد تميز الحرف العربي ونما وانتشر بعد بزوغ فجر الإسلام في فترة زمنية قصيرة ، و وصل إلى مشارق الأرض ومغاربها مكتسحاً خطوط الأمم الأخرى التي وصلت الإسلام ، مستوعباً حضارتهم ، وتمكن من هضمها ، والإضافة إليها (٥) .

على أن أحد المستشرقين (٦) يرى أن الكتابة بالقلم العربي لم تكن شائعة كثيراً بين العرب لسببين :

= **أولاً** : كان عرب الحجاز وصحراء سورية لا يحتاجون كثيراً إلى الكتابة ؛ لبساطة حياتهم في البادية ، وكانت قوافل التجار تستعمل في بعض الظروف الكتابة ، كما أنها انتشرت في المدن التجارية مثل مكة ويثرب .

= **ثانياً** : كانت الكتابة النبطية المتأخرة هي المستعملة عند عبدة الأصنام من العرب ؛ لأن الحضارة الوثنية العربية كانت مرتبطة بالنبط ارتباطاً وثيقاً ثم كان نصارى العرب يستعملون الكتابة النبطية واللغة الآرامية ؛ حيث كانت الآرامية لغة العمران والدين عند نصارى الشرق الذين لم يألفوا اللغة اليونانية حتى أن أهل نجران هؤلاء العرب الخلص كانوا يعرفون اللغة الآرامية ، لذلك لا يمكن أن نمعن النظر في القلم العربي دون أن نذكر الكتابة النبطية المتأخرة .

على أننا نعتقد اعتقاداً تاماً أن نهضة صحيحة ظهرت لهذا القلم العربي منذ ظهور الإسلام ؛ لذلك نعرفه بالقلم الإسلامي .

هذا ؛ ولعلامة اللغة الخليل بن أحمد (ت/١٧٠هـ) معلم في شكل

(٥) تاريخ كتابة المصحف الشريف : د/محمد زايد يوسف : ص/٢٨-٢٩ .

(٦) هو الدكتور إسرائيل ولفنسون في كتابه : تاريخ اللغات السامية : ص/٢٠١-٢٠٢ .

الحروف على نمطها المتعارف الآن ؛ إذ أن الخط العربي كان في صدر الإسلام خلواً من الشكل والإعجام ، فجاء أبو الأسود الدؤلي ليجعل النقط ضبطاً للحروف ، فعلامة الفتحة نقطة فوق الحرف ، وعلامة الكسرة نقطة تحته ، وعلامة الضمة نقطة وسطه ، وجعل التنوين نقطتين ، ثم جاء نصر بن عاصم ، فأعاد النظر إلى الخط بتوجيه من الحجاج بن يوسف ، فأشار بنقط الإعجام بعد أن كانت الحروف كلها مهملة ، فوضع نقطة تحت الباء ، ونقطتين تحت الياء ، و واحدة فوق النون ، واثنتين فوق التاء ، وثلاثة فوق الثاء وهكذا ... فاختلط نقط الشكل بنقط الإعجام ، و وقع الناشئون ، و وقع الناشئون والكبار أحياناً في لبس مما يقرءون ، ولكن الله ﷻ هدى الخليل بن أحمد إلى أن يميز بين الشكل والإعجام ، فجعل النقط للإعجام وحده ، أما الشكل فوضع له ما نعرفه الآن من علامات الفتحة ، والضمة ، والكسرة ، والسكون ، والشدة للمضعف ، والشرطتين للتنوين ، وجعل للهمزة رأس عين "ء" فكان مجموع ما تم له وضعه ثماني علامات هي : الفتحة والكسرة والضمة والسكون والشدة والهمزة والصلة حرف "صـ" والمدة ، وترك كتاباً يتضمن ذلك فلم يزد أحد عما فعل .. (٧) .

كما كان للخليل ترتيب خاص للحروف ، فقد كان يرتبها حسب مخارجها من أقصى الحلق إلى الشفتين وهي كما يلي : ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ي.

ولم يعد هذا الترتيب مستعملاً اللهم إلا عند الكشف في معاجم "مدرسة التقليبات الصوتية" والتي منها معجم "العين" للخليل .

---

(٧) الوعي الإسلامي : العدد/٢١٨ : ص/١٢١-١٢٢ .

تعريف بكتاب:

أساس اللغة العربية

بقلم : سعادة الدكتور محسن عثماني الندوي

◆ تعريف عن الكتاب :

فإنّ اللغة العربية هي لغة الإسلام والمسلمين منذ بُزوغ فجر الإسلام ، وما زال المسلمون ولا يزالون وسيظلّون يخدمون هذه اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، وتحدّث بها خاتم المرسلين ، فإنّ في بلاد الهند رجالاً يقومون بإسداء الخدمة العظيمة لهذه اللغة ، ويتمسّكون بها بالنّواجذ ، ويتعلّمون هذه اللغة ويعلّمونها ، ومن أبرز مراكز تعليم اللغة العربية "دار العلوم - ندوة العلماء" التي أنجبت لفيفاً من العلماء والأدباء والمؤلّفين ، وإنّ بعض الأساتذة ذوي خبرةٍ طويلةٍ في مجال تدريس اللغة العربية من أبناء هذه الجامعة يعرفون حقّ المعرفة أنّ أفضل طريق للتدريس إنما هو الأسلوبُ المباشر ، لا تُستخدم فيه لغةٌ وسيطةٌ ؛ فيتقوّى بهذا الطريق ملكةُ فهم النصوص وملكةُ الكتابة والنُّطق ، وهذا هو الطريقُ الأمثل الذي اتخذه سماحة الشيخ الإمام أبي الحسن علي الندوي في سلسلة كتبه للأطفال ؛ كـ "قصص النبيين" و "القراءة الراشدة" .

وإنّ أهمّ ميزة لهذا الكتاب أنّه اتخذ الأسلوبَ المباشرَ لتعليم اللغة العربية للأجانب الذين يتعلّمونها كلغةٍ أجنبيةٍ ، فالأسلوب المباشر طريقةٌ عمليةٌ وهو أعمق أثراً وأكثر تعلقاً بالذاكرة ، حيث نشاهد في حياتنا أنّ الصّبي يتعلّم اللغة بالاستماع إلى الألفاظ والكلمات والجُمَل المنطوقة في أسرته دون استخدام قواعد النحو والصرف ، إنّ الكلمات المنطوقة تدخل في آذان الصّبْيان وتَسْتَقِرُّ في

أذهانهم فيستعيدونها وينطقونها ولا يتردّدون فيها، فإنّ استنطاق الجُمَل الصحيحة في البداية وفي مقتبل العمر عن طريق استظهار القواعد وتحت رهبةٍ وخوفٍ من ارتكاب الأخطاء طريقٌ عقيمٌ يستنكره العقلُ السليمُ، ويَمُجُّه الذوقُ المستقيمُ، ولكن هذا الطريق بات طريقاً معبداً يسلكه المدرّسون جيلاً بعد جيل، و لا يدور في خلدهم زَيْفُه.

ويُرجَى من مدرّس هذا الكتاب أن يتخذ طريقَ الإعادة والتشويق، وحفظ الكلمات عن طريق القراءة المتكرّرة حتى لا يكون تعلُّمُ اللغةِ رياضةً ذهنيةً تستنفد طاقةَ الطالب، ولا تعود عليه بخيرٍ كثيرٍ وفائدة كبيرة.

وإنّنا نرى أنّ الطالب لا يصل إلى هدفه المنشود من دراسة اللغة رغم قضائه عُمُراً مديداً للتوصُّل إليه، ويتخرّج من المدرسة ولا يستطيع أن يعبّر عمّا في نفسه وعن خواطره في تلك اللغة التي أمضى في تعلّمها سنواتٍ عِدّة.

وينبغي للمدرّس أن يقرأ الجُمَلَ بصوتٍ جَهْوريٍّ، وأن ينصح الطلابَ أن يُنصِتوا إليها ثم يُعيدوها أكثر من مرّةٍ؛ حتى تنقش الألفاظُ والجُمَلُ في ذهن كلّ طالبٍ، ويفهمها وينطقها دون تكلُّفٍ، ويتذوّق حلاوتَها.

وهذا هو الطريقُ المؤثّر في التدريس، ويزيد للطالب ما في اللغة من الجمال والعذوبة، وتكون المعاني واضحةً بسبب الإعادة الكثيرة.

ويستأنس الطالبُ في المستوى الأول من هذا الكتاب بالتعبيرات العربية العادية السهلة، ويستسيغ الجُمَلَ العامةَ ليكون على استعدادٍ لتعلّم القواعد النحوية، فيدخل في المستوى الثاني من هذا الكتاب، وإنّ القواعد لها أهميةٌ جُلّى، وهي تساعد في تصحيح الأخطاء التي قد يرتكبها الطالبُ أثناء النطق والكتابة.

ولكن الكتاب لا يعلّم القواعدَ بطريق نظريٍّ جامدٍ مثل صِيَغ العلوم الطبيعية الجافّة التي تُحشَى بها رؤوسُ الطلاب؛ فيستظهرونها

عن ظهر القلب ليكتبوها في ورقة الامتحان.

إنّ الكتاب يدرّس القواعدَ بطريق طبيعيّ من خلال التعبيرات والتدريبات، حتى يختبر الطالبُ صحة الجملة اعتماداً على الذوق السليم، فترسخ القواعدُ في الذِّهْن دون عناء الحفظ، فتصبح اللغةُ العربية بمثابة اللغة الأمّ ينطقها بسهولةٍ وثقةٍ واعتمادٍ، لا يتعثّر لسانُه خوفاً من الوقوع في الأخطاء.

ومن المناسب للأستاذ أن لا ينقد كثيراً محاولات الطالب في النطق والكتابة؛ لأن النقد الكثير ربما يجرح ثقةَ النفس، فيستحي الطالب من الكلام والإتيان بجُمَلٍ ملاءمةٍ في مختلف الأحوال والظروف، بل يجب عليه أن يشجّع الطالبَ على كل ما يكتبه وينطقه، ويستعمل طريقاً مشجّعاً في تصحيح الأخطاء كيلا يعتبر الطالبُ أنّ جهوده قد ضاعتْ سُدى، وذهبتْ أدراج الرِّياح.

ويدخل الطالبُ بعد ذلك في المستوى الثالث فيعلمه الكتابُ مع التدريبات النحوية الأدبَ العربيّ نثراً وشعراً، فيتذوّق به ويتملى جماله ومحاسنه، وتُوجَد في هذا المستوى الثالث من هذا الكتاب النماذجُ الأدبيةُ ليتمتّع الطالبُ بما في هذه اللغة من دُرَرٍ ولآلٍ، ويشتاق إلى حفظها وإدخالها في مخزون عقله لما فيها من التعبيرات الجميلة.

وإذا استعرضنا سيرة الكُتّاب البارعين الذين نشئوا وترعرعوا في بيئةٍ هنديةٍ، ثم اكتسبوا القدرةَ الفائقةَ على التعبير في اللغة العربية؛ حتى فاقوا الكثيرين من الأدباء العرب (مثل الإمام أبي الحسن على الندوي) نجد أنهم قرؤوا الكثير من النصوص الأدبية حتى أصبحت الكلماتُ منقوشةً في أذهانهم؛ لأن الكتابة الأدبية لا تأتي إلا من القراءة الكثيرة للكتب الأدبية، وإجادة مَضْغِها وهضمها.

ومن المناسب في هذه المرحلة أن يحثّ المدرّسُ الطلابَ على مراجعة القواميس العربية لإدراك معاني الألفاظ الصعبة، وعليه أن يقرأ النصوص بصوتٍ جهوريٍّ في الصَّفّ لتأنسَ الآذانُ أنغام

الكلمات والتعبيرات العربية، وحتى يتذوّق الطالب ما فيه من متعةٍ وجمل ونغمةٍ وإيقاعٍ، ويطرب ويهتز، وعلى المدرّس أن يُشجّع الطالبَ على إعادة الأبيات واستعمل مفرداتها الجميلة في كتاباته مراراً وتكراراً حتى تتدفق تلك المفرداتُ كالشّلال، وتأتي كالماء الزُّلال، وتسيل مثل السَّلْسَال، ويحصل للطالب المقدرةُ الأدبيةُ، وجملُ التعبير في اللغة العربية.

إنّ الهدف المنشود والغرض الأصيل من دراسة الشعر إثارةُ الذوق والقريحة والمرور بالتجربة نفسها التي مَرَّ بها الشاعرُ، واختزان المفردات الجميلة، لا شرحَ الألفاظ والكلمات فحسب، ومن ميزة هذا الكتاب أنّه يتجاوب مع قدسية اللغة التي أنزل الله فيها كتابَه الخالد: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيْلُ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الأَمِيْنُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُنْذِرِيْنَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِيْنٍ ﴾ (الشعراء/١٩٢-١٩٥).

هذه هي طُرُقُ التدريس التي استلهمناها من توجيهات الأديب الأريب، والمدرّس اللبيب: العلامة عبد الله عباس الندوي (الذي شَرَّق وغرَّب في مجال تدريس اللغة العربية، وألقى عصا ترْحاله تارةً في بلدان الشرق البعيدة، ودول إفريقية الجنوبية، وتارةً في الهند)، فهذه عصارةُ تجاربه وخبراته، استفدنا منها في تأليف هذا الكتاب مع المؤلّفين المحترمين الآخرين.

إنّ المؤلّفين الذين اتفقوا على منهج التدريس الأمثل لتعليم اللغة العربية، خاصّةً إلى جانب اعتزامهم على تأليف هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء بطريقةٍ عصريّةٍ جميلةٍ.

وإنّ التعبيرات في هذا الكتاب تَنِمُّ عن الفكر الإسلامي، فاقترن الفكرُ الإسلاميُّ مع اللغة والأدب، وانصهر الجميع في بوتقةٍ واحدةٍ.

ومن المؤلفين الذين شاركوا في تأليف هذا الكتاب:

سعادة الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي: عميد كلية

اللغة العربية في دار العلوم - ندوة العلماء بلكناؤ - الهند)، ورئيس تحرير جريدة: "الرائد" ومؤلّف كتب: "تاريخ الأدب العربي"، و "مصادر الأدب العربي"، و "أدب الصحوة الإسلامية" وغيرها.

والمؤلف الثاني: هو سعادة الأستاذ نعمان الدين الندوي، رئيس تحرير مجلة: "الصحوة الإسلامية" (الصادرة عن دار العلوم حيدرآباد) ومؤلّف كتاب: "الروائع والبدائع في البيان النبوي"، و "خصائص اللغة العربية"، و "المنافع في اللغة العربية".

والمؤلف الثالث: هو الأستاذ عبد الماجد الغَوْري الندوي، مؤلّف كتب: "موسوعة مصطلحات الحديث" و "أعلام المحدّثين في الهند" و"أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربّي الأديب" وغيرها.

والمؤلف الرابع هو كاتبُ هذه السطور.

وفضل إصدار هذا الكتاب يرجع إلى سعادة الدكتور عبد الله عباس الندوي (رحمه الله) (معتمد التعليم في دار العلوم - ندوة العلماء سابقاً، وعضو هيئة التدريس بجامعة أمّ القرى سابقاً في مكة المكرمة) والذي له خدماتٌ عظيمةٌ تُشْكَر وتُذْكَر في مجال التدريس والتأليف، ومن كبار المؤلّفين حول اللغة العربية والعلوم الإسلامية باللغة الأردية والعربية والإنجليزية، وقد نالت مؤلّفاته القبولَ والإعجاب في الأوساط العلمية والدينية في داخل الهند وخارجها، وإنه قد أولى الاهتمامَ والعناية بسلسلة هذا الكتاب، وأشرف على كل مرحلةٍ من مراحل التأليف، و هو أستاذ الأساتذة، و مربّي الجيل، بارك الله في عمره، وأعطاه الصحةَ والعافيةَ (١).

و أخيراً ندعو الله أن يتقبّل جهودنا في خدمة الإسلام والمسلمين، وأن يوفّق الجميع إلى ما فيه الخيرُ والصلاح.

---

(١) استأثرت به رحمة الله في غرة ذي الحجة عام ١٤٢٦هـ وأول يناير ٢٠٠٦م في مكة المكرمة.

تاريخ من استقلال الهند:

الهند ضد الاستعمار البريطاني ، وعلاقتها بالإسلام

بقلم : الأستاذ محمد راشد كمال الندوي
(جامعة جواهر لال نهرو – نيو دلهي)

إن علاقة الهند مع الإسلام والمسلمين قديمة جداً ، يرجع تاريخها إلى عصر الصحابة ، فتحها محمد بن قاسم الثقفي ، واستولى عليها المغول واستوطنوها ، وتركوا آثاراً خالدةً ومعالم شهيرة ، لا تزال تشهد بحبهم للوطن و وفائهم به ، دخل الهند الإنجليز كتجار في القرن السادس عشر ، ثم بدأوا يتدخلون في شئون سياستها الداخلية بصورة تدريجية ، حتى استعمروها وتولّوا زمام أمورها قرنين تقريباً ، لكن لم يقبل الشعب الهندي المتحمس السلطة الإنجليزية قط ، بل استمروا في سبيل الكفاح لأجل الحرية ، وكرّسوا حياتهم للدفاع عن قضية وطنهم الهند ليقودوها نحوا الاستقلال ضد بلاد المستعمر التي قيل عنها أنها لا تقهر ولا تغيب عنها الشمس ، إلى أن نالت حريتها يوم ١٥/أغسطس سنة ١٩٤٧م .

إذا أمعنا النظر في تاريخ استقلال الهند ، وجدنا أن حركة التحرير قد بدأت منذ القرن الثامن عشر ، حيث إن أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ "الشاه ولي الله الدهلوي" هو أول شخص وعى بخطر ازدياد السلطة البريطانية ، ولفت إليه انتباه الأمراء والسلاطين وأشار عليهم بإعداد جنودهم ضد الإنجليز ، وكتب كثيراً من المقالات والكتب ، وحث الشعب الهندي ضد الاستعمار البريطاني ، لم يستطيع أن يقوم الشاه ولي الله بتنفيذ إرادته وأفكاره بنفسه ، لكن ترك وراءه أولاده ورفقاءه الذين قاموا بتربية الناس على منهج فكره ، وبثّ آرائه

بين الشعوب والقبائل وأعدوا جماعة مخلصة ، وكان من أنجاله البارّين الشيخ عبد العزيز الذي أصدر الفتوى ضد السلطة الإنجليزية عام ١٨٠٣م ، وأعلن أن الهند أصبحت دار الحرب ، وبرز من حلقة عبد العزيز رجل فذ يعرفه التاريخ بالسيد أحمد بن عرفان الشهيد ، وأسس حركة تسمى بـ "الحركة الإصلاحية" أما الإنجليز ، فنادوها : "الحركة الوهابية افتراءاً عليه ، وقد بين السيد أحمد في إحدى رسائله التي كتبها إلى الأمير كامران بن شاه محمد الدراني حاكم الهراة أن هدفه الحقيقي إقامة الجهاد في الهند التي استولى عليها الإنجليز ، فأفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، لم يستطيع السيد أحمد أن يقود الحركة طويلاً من أنه استشهد مع بعض رفقائه في حادث بالاكوت في ٦/أو ٧/مايو عام ١٨٣١م ، وكانت شهادته حقاً نكسةً كبرى للمجاهدين ، لكن استمروا في مهمتهم التي تهدف إلى طرد الإنجليز من أرض الهند ، ولهم دور رائع في قيادة الحروب الدامية والقتال الفتاك حتى عانوا من مصادرة الأملاك والأموال بحكم السلطة الإنجليزية ، ومحاكمات طويلة ، ولو وضعت مآثر الفداء والإيثار والبطولة في الهند كلها التي يحكيها تاريخ حركة التحرير والكفاح الوطني في كفة ، و وضعت مآثر السيد أحمد وأصحاب الحركة الإصلاحية وبطولاتهم في كفة أخرى ، لرجحت هذه الكفة الأخيرة رجحاناً ظاهراً ، ومن تأثير الحركة الإصلاحية المشتقة من أصول الشاه ولي الله وفكرته السياسية ، تَمهّد السبيل للثورة الكبرى الواقعة في عام ١٨٥٧م ، وشارك فيها كل من المسلمين والهندوس وأصحاب الديانات الأخرى بدون أي تفرقة (١) .

(١) أما في جنوب الهند ، فكان ملكاً غيوراً باسلاً يعرفه التاريخ بالسلطان تيبو ، انتبه للخطر الإنجليزي انتباهاً تاماً ، و حث أمراء الهند على القضاء عليه ، <<<

من المعلوم أن الشعب الهندي لم يرضوا بالحكم البريطاني قـط ، بل ما زالوا يقاومونه من أول يومه ويرفعون أصواتـهم ضـد اضطـهاد الإنجليز من حين لآخر ، ولم يدخروا وسعاً في تحرير البـلاد مـن براثـن الاستعمار البريطـاني وتظـهر هـذه الحقيقـة مـن ثـورات المدنيـين والفلاحين والقبائل ، التي حدثت في مختلف أرجاء الهنـد وازدادت مـع مرور الزمان ، حتى شـهدت الهنـد ثـورة تاريخيـة كـبرى ، تكـاد تجـرف الحكم البريطاني ، ساهم فيها المسلمون والهنادك سواءاً بسواء .

ومن هنا تبدأ المرحلـة الثانيـة لحركـات التحريـر بعـد الثـورة العظمى .

🕮 المؤتمر الوطني الهندي : (Indian National Congress)

تأسس المؤتمر الوطـني الهنـدي في عـام ١٨٨٥م ، وكـانت خلـف تأسيسه فكرة رجل إنجليزي ، اجتمع اثنان وسبعون شخصاً في مومبـاىٔ لحضور أول اجتماع لهذا المؤتمر ، وكان جميع الخطب التي ألقيت باللغـة الإنجليزية ومقتصرة على تعابير الولاء للعرش البريطاني ، أما المطالب ، فقد كانت بشأن إصلاحيات إدارية وأمـور اقتصاديـة ، وقضايـا النـاس بالنسبة لوظائفهم ، وتعويض أحوالهم الشاقة العصيبة ، فبالإيجاز كانت

<<< وحارب الإنجليز حرباً عنيفةً بكل ما يملكه مـن قـوة حربيـة وعتـاد ، وكـان ينهار حكومتهم ، لو لا أنهم نجحوا في ضم أمـراء الهنـد في جنـوب الهنـد غلـى معسكرهم ، واستشهد الملك المجـاهد في المعركـة ، ٤/مـايو سـنة ١٧٩٩م ، وفضـل موت البسالة والعزة على حياة الجبانة والذلة ، وقال : "يوم من حياة الأسد خـير من مائة سنة من حياة ابن آوى" ، ولما بلغ القائد الإنجليز شهادة السلطان حضر و وقف على جثته ، وقال : "اليوم الهند لنا" كان السلطان تيبو بلا ريـب قـائداً عالي الهمة وبعيد النظر وشديد الغيرة على الدين والوطن .

القضايـا الاقتصاديـة أكـبرهمّ للمؤتمـر الوطـني الهنـدي وراء تشـكيله وائتلافه ، ويعقد هذا المؤتمر مجلسه السنوي على الأقل مـرة واحـدة في كل سنة ، تحوّل المؤتمر إلى السياسة مباشراً بعد تقسيم ولايـة البنغـال ، وأعلن لأول مرة في جلسته السـنوية المنعقـدة في كولكاتـا سـنة ١٩٠٦م نظرية "سوراج" ، مما يعني الحكم الذاتي المعبر عـن الحريـة السياسـية والاقتصادية الكاملة ، ودعا لمساعدة حركة المقاطعة ، وكانت حقـاً هـذه المطالبة خطوة تجاه الاستقلال الحقيقـي ، حتـى أعلـن سـنة ١٩٢٩م بـأن الاستقلال الكامل هو هدف نهائي له .

🕮 العصبة الإسلامية (Muslim League) :

بعد تقسيم إقليم ببنغـال بـين الولايتـين في عـام ١٩٠٥م ، بـدأ يفكر الزعماء المسلمون في إنهاض أمتهم الراقدة وإيقاظها من سـبات الغفلة ، وأسسوا جمعية تسـمى بالعصبـة الإسـلامية بقيـادة آغـا خـان وسـليم الله في دهاكـا عـام ١٩٠٦م ، ونـادت هـذه العصبـة بـالحقوق السياسية وفرص العمل في الحكومة بالنسبة للمسلمين ، وتحدّثت عن مشاكلهم ، لكن بقيت وفية للحكومة الإنجليزية حتى نهاية عام ١٩١١م ، ثم حوّلت فيما بعد نظريتها ، وخالفت السلطة البريطانيـة ، وطـالبت بالاستقلال ، ونادت في الأخير بتقسيم الهند .

🕮 جمعية علماء الهند :

تأسست جمعية علماء الهند لأجل توحيد صفوف العلماء الذين كانوا في الهند بعدد لا يستهان به ، وقام بتأسيسها الرسمـي شـيخ الهنـد محمود الحسن في عام ١٩١٩م ، كانت للجمعيـة أهـداف جليلـة جديـرة بالثناء في الدفاع عن الوطن والملـة السـمحاء ، أكـثر أعضائـها كـانوا خريجي جامعة دار العلوم بديوبند .

🕮 حركة الخلافة :

كـان عـام ١٩١٩م زمـن المحـن والفظاعـة في السياسـة الهنديـة ، والمسلمون يحزنون على فوات الخلافة العثمانيـة والخسـائر في المنـاطق العربية على المستوى العالمي ، والهنـدوس مـع المسـلمين علـى حـادث "جليانوالا باغ" على المستوى القومي ، الذي بلـغ فيـه عـدد القتلـى والجرحى ألفين على الأقل ، في مثل هـذه الأوضـاع ، أسـس الأخـوان محمد علي وشوكت علي حركة الخلافة ١٧/أكتوبر ١٩١٩م ، ونادى الهنود ذاك اليوم " بيوم الخلافة" وكانت ترمى هذه الحركة إلى تكوين الوعي السياسي والحماس الوطـني وكراهـة الإنجليز ، وكـان مركزهـا مدينـة مومبائ ، وفروعها منتشـرة في القـرى والبـوادي ، وكـانت تعـد أكـبر الحركات الإسلامية في الهند ، وكان جميـع المنـاضلين للحريـة أعضاءهـا وخدامها ، قاد أبو الكلام آزاد هذه الحركة واحتضنـها الزعيـم غـاندي طبقاً لعواطف المسلمين وتأييداً لقضية عادلة ، وقـام برحـلات طويلـة مع محمد علي وشوكت علي ، كان يخـاطب فيـها الجمـهور ويخطـب في الحفلات الكبيرة التي لم تشهد البلاد مثلـها ، وكـان الجمـهور يسـتقبل هؤلآء الزعماء بحماسة منقطعة النظير ويهتف بحياتهم ، لكن بالأسـف الشديد لم تستطيع هذه الحركة أن تحيا طويلاً ، فاصطدم زعماؤهـا فيمـا بينهم وتضاربت وجهة نظرياتهم ، حتى انعزل أبو الكلام مـع أتباعـه إلى المؤتمر ، وتابعه أكثر أعضاء الحركة .

حركة اللاتعاون ومقاطعة البضائع الأجنبية :

لما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، أصرّ المسلمون لـدى رئيس الـوزراء البريطـاني للويـد جـورج (Lloyd George) علـى إيفـاء الوعود ، التي وعدها مع المسلمين في شأن خليفة تركيـا بأنـه لا يحـمل الضغينة ضد الخليفة ، ولكن الحكومة البريطانية لها خطة أخـرى وهـي تعامل بالمكائد بالنسبة للوعود ، فاتفق الأخوان محمـد علـي وشـوكت

علي وأبو الكلام آزاد والزعيـم غـاندي علـى إدارة حركـة اللاتعـاون واقترحوا فيها مقاطعة البضائع الأجنبية والمدارس البريطانية ومقاطعـة الحكومـة الإنجليزيـة والإضـراب عـن التعـاون معـها في دوائرهـا وفي جيوشـها وأقـرت جلسـة خاصـة للمؤتمـر بـهذا الاقـتراح ، وتقدمـت العصبة الإسلامية إلى الائتلاف مع المؤتمر الوطني الهندي في تأييده لهـذه الحركـة ، واتحـد صـوت الهنـد في قضيـة الخلافـة بصـرف النظـر عـن اختلاف الديانات والعقائد ، وكان هذا الاتحاد بين المسلمين والهندوس أول ظاهرة من نوعها في تاريخ الهنـد الحديـث ، ومضـوا علـى رصـف الصفوف وتوطيد العزم لمقاومة الحكومة الإنجليزية وسياسـية حلفائـها في قضيـة الحكومـة العثمانيـة ، والنـداء إلى تحريـر الوطـن وتأسـيس الحكومة الاستقلالية .

علاوة علـى ذلـك ، تشـكل عديـد مـن الأحـزاب والحركـات الأخرى ، التي ساهمت في تحقيق تحرير البلاد ومنـها : "حـزب غـدر" والحزب الشيوعي الهندي و "حزب سوراج" وحركتي العصيان المدنـي وهجر الهند وما إلى ذلك .

ما من شك في أن المسلمين هم الذين استشعروا بخطر الإنجليز أولاً ، وبادروا نحو اتخاذ الخطوات في هذا الإطار ، واطلعـوا عليـه أبنـاء البلاد وأيقظوهم من سبات عميق ، ثم ساهموا جميعاً في سبيل الحريـة ، وتجلّى اتحاد المسلمين والهنادك في أروع مظـاهره ، واتحـدوا في مهاجمـة الحكومة الإنجليزية ، وبذلوا كل ما في وسـعهم في هـذا السـبيل ، ومـا زالوا يناضلون ضد الاستعمار البريطاني ، حتى نجحوا في إبعاد الإنجليز من أرض الهند .

***

صور و أوضاع :

موقفان متعارضان بين صراع ولقاء

بقلم : الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي

ظلت فكرة صراع الحضارات موضوع البحث والنقاش في الأوساط العلمية ، ولا تزال تشغل بال كثير من أصحاب الفكر في أوربا ، وقد عارض هذه الفكرة عدد من أصحاب الفكر، وفنّدها هذه الفكرة أو عالجها عدد من حملة القلم وأصحاب الفكر في العالم الإسلامي من زوايا مختلفة .

وقد دار البحث أولاً حول الصراع أو اللقاء ، فقدم بعض أصحاب الفكر تصور لقاء الحضارات ، وتلبية لهذه الفكرة واستجابة لها ، عقدت في مختلف أنحاء العالم مؤتمرات ، وندوات لتبادل وجهات النظر لأتباع الأديان المختلفة وخاصة بين المسيحية والإسلام ، ووجه البابا الجديد أيضاً دعوة إلى الحوار بين الأديان المختلفة ، ويدل ذلك على أن الباحثين فسروا الحضارات بالأديان ، والواقع أنه لا يوجد صراع بين الأديان ، فقد عاش أتباع الأديان المختلفة متمسكين بتعاليم دينهم في بيئة دينية مختلفة ، والإسلام أكثر تسامحاً ورحابة صدر في تأمين الحريات الدينية لغير المسلمين ، ويدل على ذلك تاريخ الإسلام ، فلم يجبر المسلمون في عهد غلبتهم غير المسلمين على التخلي عن أي تعليم من تعاليم دينهم ، ولم يفرضوا عليهم اختيار شئ لا يتناسب مع تقاليدهم وعاداتهم ، ولم يتخذوا أي إجراء قمع ، أو سلب حرية إذا فتحوا أرضاً ، وكل من دخل في الإسلام واختار ثقافته كان عملاً طوعياً .

ويتضح هذا الفارق بين سياسة الفاتحين المسلمين وسياسة الفاتحين المسيحيين مثلاً لدى فتح الأندلس ، فقد كان اليهود في عهد

غلبة المسيحيين يعانون أشد أنواع الاستبداد والقهر ، فلما فتحها المسلمون أطلقوا حرياتهم ، وأشركوهم في إدارة البلاد ، واشترك اليهود في ازدهار الحضارة الإسلامية ، وخاصة في العلوم والفنون ، كما اشترك المسيحيون ، ولم يشعر أحدهما بالعبودية أو التبعية ، ولكن الأندلس بعد غلبة المسيحيين كان مسرح القمع وسلب الحريات والإجبار الديني والتشريد ، وأجبر المسلمون على اعتناق المسيحية ، وإلا فإن مصيرهم الحرق ، والقتل ، والطرد .

كذلك فتح القدس بأيدي المسلمين ، وبأيدي المسيحيين يقدم صورتين مختلفتين فقد عاش اليهود والمسيحيون في القدس في عهد الحكم الإسلامي بحرية ، وكانت أماكن عبادتهم ومقدساتهم موضع الاحترام لدى المسلمين وكان رهبانهم وربيوهم يتمتعون بالامتيازات التي كانوا يتمتعون بها في عهد غلبتهم ، ولم تسفك دماء وقد كانت أوامر سيدنا عمر ﷺ لدى فتح القدس شديدة وصارمة في ذلك ، فكان انتقال الحكم سلمياً .

كذلك فتح السلطان صلاح الدين ، يعترف بسياسته الحكيمة و تسامحه مع الذين عادوه وحاربوه استانلى لين بول في كتابه "السلطان صلاح الدين" : إنه لم يتخذ أي إجراء انتقامي ضد أي ملك من الملوك الذين حاربوه إلا الملك ريجي نالد جاتيلون الذي سبّ رسول الله ﷺ ، ثم أنه قام بتأمين سلامة الرعايا ، وعلى عكس ذلك لما فتح المسيحيون القدس أراقوا الدماء ، حتى غاصت الخيول في الدماء إلى الركب ، وذلك حقيقة تاريخية ، يشهد بها المؤرخون الغربيون .

وتاريخ عهد الاستعمار تاريخ حيّ ، معاصر ، وكل من يقارن بين الفتح الإسلامي ، والفتح المسيحي الغربي ، يستطيع أن يدرك هذا الفارق بين سياسة الفاتحين المسلمين ، والفاتحين المسيحيين الغربيين ، رغم أن المسيحية تدعى بالحب والمغفرة والعفو ، وتعتبر الصفح

والعفو شعاراً لها.

ويتضح هذا الفارق في السياسة والسلوك في العصر الحاضر عندما قامت أوربا بسياسة الإحراق، والقصف الجوي الذي أباد ألوفاً من الناس والقتل الجماعي عند الغلبة كما حدث في أفغانستان، ولا يزال يجري في العراق، ويجرى تعذيب الأسرى، وقمع الحريات وفرض الحظر على الرموز الإسلامية في البلدان الغربية، ويقوم أهل العلم والفن بحملة كراهية الإسلام، ويجرى شتم الرسول الكريم ﷺ، وتشويه التاريخ الإسلامي وتستمر الإعلانات بتنصير دول عديدة من العالم الإسلامي، والكراهية لكل ما يمتّ إلى الإسلام بصلة، وتتخذ إجراءات ضد الحركات الإسلامية، وتجبر الدول الأوربية التي لها نفوذ وسيطرة على الدول الإسلامية أن تتخذ إجراءات ضد الحركات الإسلامية حتى المدارس الدينية والجمعيات الخيرية لا تستثنى من هذه الإجراءات القمعية، وقد اتحد الغرب كله في الدفاع عن صاحب الرسوم المسيئة إلى الرسول الحبيب ﷺ والتنديد برد الفعل الطبيعي الذي أثارته هذه الرسوم في قلوب المسلمين، وعلى عكس ذلك فإن المسلمين رغم هذه السورة للغضب لم يصدر من قلمهم ولا لسانهم كلمة تسيئ إلى المسيحية أو سيدنا المسيح عليه السلام، ورغم كل إساءة واعتداء من اليهود، لا يجرؤ أحد من المسلمين على أن يسيئ إلى اليهودية، أو سيدنا موسى عليه السلام، وهذا الفارق بين السلوكين والسياستين واضح يشاهد، ويلمس، في كل بلد من البلدان الإسلامية، وفي كل عهد من عهود التاريخ، وقد منع الإسلام من سب الآلهة: ﴿ وَلاَ تَسُبُّوْا الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ * فَيَسُبُّوْا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (الأنعام/١٠٨) وجاء في موضع آخر: ﴿ قُلْ: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ! تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ * أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ * وَلاَ نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً * وَلاَ يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُوْنِ اللهِ ﴾ (آل

عمران/٦٤) ويدعو الإسلام إلى الإيمان بسائر الأنبياء واحترام المقدسات.

إن انتشار الإرساليات التنصيرية، والدعوات الهدامة والمؤسسات التي تشوه ثقافة الإسلام وتحارب الإسلام علناً، في العالم الإسلامي مشاهد، وملموس، وقد تصعد هذا النشاط المؤذي المعتدي على الإسلام وثقافته في وسائل الإعلام كالتلفزيون، والإنترنت ويغزو كل بيت، ولا تفرض أي حكومة إسلامية أي حظر على هذه النشاطات، ونتيجة لانتشار المنظمات التنصيرية ومؤسسات ما يسمى بأعمال البر والإحسان المنتشرة التي تسهم في نشر الديانة المسيحية، و تروج الثقافة الغربية، يدخل آلاف من المسلمين في الديانة المسيحية، ويختارون الثقافة الغربية، ولكن لم تتخذ أي حكومة إسلامية أي إجراء لمنع هذه الحملة، ومقابل ذلك تتخذ الدول الأوربية سائر الإجراءات لمنع الاتجاه الإسلامي، وتعامل مع الأقليات الإسلامية معاملة العداء، وتجبر النظم القائمة في البلدان الإسلامية على اتخاذ إجراءات لمنع اتباع تعاليم الإسلام وتطبيق شريعته، وفرض حظر على كل حركة تدعو إليه، حتى تعليم أبناء المسلمين لا يستثنى من هذا الإجبار، ويجري عمل التغريب بل عمل التنصير علناً، وتنفق الدول الغربية التي تدعى بالعلمانية والديمقراطية ثروات هائلة على التغريب، والتنصير، حتى الحجاب لا يحتمل في بلد إسلامي، وتمنع الفتاة المحجبة من شغل أي منصب بل تحرم عضوية البرلمان، وفي الوقت نفسه يفرض الزي الأوربي، في مدارس التعليم ودور الحكومة ولا يجبر الإسلام على اختيار زي خاص وإنما هناك حدود معينة يجب رعايتها في المأكل والملبس وهي حدود فيها مصلحة الإنسان، ورعاية شرفه، كالحلال والحرام، والستر والحشمة.

لقد قامت القيامة على احتمال صدور حكم الإعدام على عبد الرحمن الأفغاني الذي ارتد عن الإسلام وقبل الديانة المسيحية، في

أفغانستان ، وتناولت الصحف والمجلات والإذاعات العالمية هذا الموضوع بالبحث ، وقد ثار هذا الغليان قبل ذلك عندما هدم الطالبان بعض التماثيل البوذية ، فقام المحتجون بالهجوم على المساجد وأحرقوا المصحف ، وهددوا بالهجوم على مكة المكرمة شرفها الله وحرسها من كيد الأعداء ، ولكن إعدام مئات من المواطنين وتعذيب السجناء بتهمة مخالفة سياسات الحكومات الظالمة ، أو الاحتجاج عليها جرى ويجرى بنطاق واسع في مختلف بلدان العالم ، ولا تزال تجري هذه العمليات الوحشية في جوانتامو وسجن أبو غريب ، وسجون النظم الاستبدادية في كثير من البلدان الخاضعة للدول الأوربية ولا يتناولها الصحف أو المجلات والإذاعات بالبحث ، ولا تتحرك الأمم المتحدة ولا جمعيات حقوق الإنسان .

لقد سلبت الدولة الكبرى العالمية في هذا العصر ، عصر الحرية والديمقراطية والسيادة حريات الشعوب ، فهي تملي كيف يكون نظام الاقتصاد ، ونظام السياسة ونظام التعليم ، بل الروابط والعلاقات بين الجيران ، وكيف يكون القضاء ، وما يحق لدور القضاء أن تصدر الحكم وما لا يحق لها أن تصدر وبذلك أصبح العالم كله مستعمرة لا تملك حرية داخلية ولا خارجية .

وهذا هو واقع الحياة المعاصرة ، وفي مثل هذا الوضع حديث صراع الحضارات أو صراع الأديان حديث خيالي وهمي لا صلة له بالواقع ، ولا يمت إلى الحقيقة بصلة ، والواقع هو فرض ديانة وثقافة واحدة على العالم كله ، وإخضاع سائر أنحاء العالم لمصلحة بلد واحد ، أو بلدان متحالفة،إن الصراع يكون بين فريقين متساويين في القوة ، والمادة ، والغرض ، كما كان في عهد الحرب الباردة ، بين الكتلة الشرقية الاشتراكية والكتلة الغربية الرأسمالية ، ولكن لا يكون الصراع بين فريقين متفاوتين في القوة ، والرسالة،والسلوك .

المصالح الأمريكية في آسيا الوسطى

بقلم : الأخ محمد فرمان الندوي
(جامعة ندوة العلماء – لكناؤ – الهند)

كشف مركز "راند" للأبحاث تقريراً يزيح الستار عن الأولويات السياسية والأدوار العسكرية في آسيا الوسطى ، ويغطى ٨١/صفحةً تتضمن مقدمة وخاتمةً وثلاثة عناوين بارزة :

١- الأولويات السياسية لمنطقة بعيدة لكن مهمة .
٢- تعريف المصالح الأمريكية في آسيا الوسطى .
٣- الدور العسكري في العلاقات الأمريكية مع آسيا الوسطى.

مثل هذه التقارير والأبحاث تصدر كل صباح في النشرات والصحف اليومية وتأتي بمواد مسمومة في أسلوب معسول ، وتهيب أهل الضمائر الوقادة بأن الخطر المدلهم قد ازداد تفاقماً ، والوضع المتأزم قد استفحل تصاعداً ، وإجراء العمليات الجراحية الخارجية في الكيان الإسلامي بدأ يتم ، وتلتئم جروحه وقروحه ، إن هذا التخطيط المدبّر ليس جديداً من نوعه بل شهدت الدنيا تخطيطات ومشاريع مطروحة على بساط البحث والعمل مثلاً تأسيس منطقة جديدة ، وخريطة الطريق ، والعولمة ، لكن المخطط الحالي نحو بسط السيطرة على العالم الإسلامي يؤشر إلى جدية أمريكا فيه ، لأن روسيا بعد انفراط عقدها تريد من جديد إرساء الأمن والاستقرار في مناطقها المستعمرة ، فكيف تتحمل أمريكا هذا العمل ، وهو أمر لم يزل ينتطح فيه عنزان ، هنا قائمة لمرامي أمريكا التي تتلخص في نقطتين :

١- نسج العلاقات مع الدول المستقلة من الاتحاد السوفيتي .

٢- مصادر الطاقة التي تتمتع بها هذه الدول .

فلتحقيق هذه الاستراتيجية المستقبلية لابد من أمرين :

١- تعزيز التعاون العسكري - العسكري بين الولايات المتحدة وهذه الدول .

٢- تعزيز التعاون المدني - العسكري بين الطرفين .

وستظهر لهذا التعاون نتائج وفوائد كثيرة من بينها :

١- بناء علاقات ثنائية قويّة .

٢- حل بعض المعضلات والمسائل الأمنية .

هذا ما نلمس من دراسة السيناريو العالمي ، أمّا الغزو الفكري فقد استبطن في هذه المناطق وعشش وباض وفرّخ ، فأجهزته أكثر من تفاريق العصا ، بل كل صيد في جوف الفرا ، لأن الصهاينة يُديرون الشبكات لتجنيد الشباب العربي ، ويظهر الحوار الجنسي عبر مواقع الشبكات كأخطر وسيلة لكشف الأغوار النفسية ، ولا يزال يستهدف هذا السرطان بنيان القيم الإسلامية وتنخير جدرانها ، فتارة يظهر الحط من شأن المبادئ الدينية على المسرح العالمي ، وتارةً أخرى يبدو في صورة إساءة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، الوضع يتطلب إحداث ثورة إيجابية بنّاءة في الأوضاع المعاشة ، وهو لا يتحقق إلا في ظاهرة إصلاح النفس لأن بناء الحضارة لا يتحقق إلا ببناء الشخصية قبل كل شئ ، كما قد أشار إليه الأديب الموهوب الأستاذ محمد الحسني رحمه الله :

"بناء الشخصية أهم من بناء السفن والطائرات والآلات الدقيقة الحساسة ، وبناء السدود والجسور ، والخزانات ومحطات الكهربا والإضاءة والنور" .

***

أخبار علمية وأدبية :

"الحركات الإسلامية في شبه القارة الهندية"

رسالة دكتوراه من إعداد د/محمد سلمان خان الندوي

في الفترة بين ١٨٠١-٢٠٠٠م

عرض وتقديم : د/محمد سلمان خان الندوي

◆ ملخص البحث :

قدم الباحث هذه الأطروحة لنيل درجة الدكتوراه في "الدراسات الإسلامية والثقافة العربية" بجامعة لكناؤ الحكومية في الهند ، وبعد المناقشة حول الموضوع وفقاً للقوانين واللوائح المنظمة للدراسات العليا في الجامعة فاز الباحث بشهادة الدكتوراه ، وهذه الأطروحة تهدف إلى تحليل ودراسة **الحركات الإسلامية في شبه القارة الهندية** ، دعوية كانت أو علمية سياسية كانت أو اجتماعية ، وهي تشتمل على خمسة أبواب رئيسية ، كما احتوى كل باب على ثلاثة فصول ، يتناول **الباب الأول** : تاريخ الحركات الدينية وممارستها في مجال الدعوة الإسلامية والإرشاد والإصلاح الديني ، فقد قام الدعاة والقادة لرفع كلمة الله في كل عصر ، وتناول الباحث **تاريخ الحركات الدعوية لشبه القارة الهندية من بداية القرن التاسع عشر إلى نهاية القرن العشرين** ، فلم تنقطع صلة العلماء بالجماهير والعامة ، وقاموا في كل مرة بالدعوة الخالصة الإسلامية ، فقامت **دعوة السيد أحمد بن عرفان الشهيد** بإحياء الشريعة الإسلامية في تلك المنطقة ، فكانت نهضة جديدة لإحياء الشرع الإسلامي في البلاد في بدء القرن التاسع عشر ، وكذا لعبت **الجماعة الإسلامية** دورها الملموس في تبيين حقيقة الدين ودحض الأباطيل والأفكار والفلسفات الحضارية التي دخلت في النفوس واتصلت بالفكرة الإسلامية في الأربعينيات للقرن العشرين ، وكان نطاق هذه الجماعة موسعاً تهدف كل المجالات الحركية الإسلامية ، وفي جهة أخرى أقيمت حركة دعوية

موسومة بجماعة التبليغ لنشر تعاليم الإسلام النيرة في المسلمين، وعرفت بثمار الجهود والإخلاص منذ نشأتها، وأسست على قواعد من العقيدة الإسلامية الثابتة بالكتاب والسنة، واتسع مجالها الدعوي في العالم كله، وقد قام المتطوعون من المصلحين والدعاة في زمن كانت الهند تتموج بالاضطرابات الطائفية، وأصحابه المنتمون بها لا يزالون يقومون بإصلاح العمل، فأشار الباحث إلى المصادر الثابتة لهذه الحركات.

والباب الثاني في تاريخ الحركات العلمية ومناهجها السائدة في المعاهد والمدارس الإسلامية في الهند.

وكذا قامت حركة على جراه العلمية بسعي مشكور في تغيير منهج التعليم وتحديثه وفق ضرورة العصر الراهن وذلك لأن المبشرين المسيحيين ودعاتهم ما زالوا قائمين بتضليل جماهير المسلمين ممن تأخروا عن ركب الحضارة الحديثة لعكوفهم على علوم لا تفيدهم فائدة في الدنيا والآخرة، وكان السير السيد أحمد خان روحاً متحركةً للجمعية العلمية والثقافية.

وكذلك يأتي هناك اسم: ندوة العلماء ومنهاجها الدراسي من بين الحركات العلمية الأخرى، فإن هذه الحركة تضع نصب عينها الظروف والأحوال وتؤمن بالتطور في العلم والأدب، فإنها لا تعتبر منهجاً دراسياً غير قابل للتغيير، ويمر هناك نظام التعليم بالتغيير والتعديل حيناً لآخر.

أما الباب الثالث فيشتمل على تاريخ الحركات السياسية التي أنشئت لتوعية المسلمين سياسياً وتوحيد صفوفهم بعاطفة أخوية، وحرارة إيمانية، وكلها قد أنشئت خلال مقاومة الإنجليز لتحرير البلاد.

والباب الرابع يشمل جميع نواحي المسلمين الدينية والسياسية والاجتماعية بعدما نالت البلاد استقلالها في عام ١٩٤٧م والحقيقة أن المسلمين قد أصيبوا بمركب النقص بعدما أصيبوا بالخسائر الهائلة في

الكفاح الوطني لعام ١٨٥٧م، وابتعدوا عن الأخلاق الفاضلة وأصيبوا بجمود تعليمي ديني واجتماعي، فذكر الباحث الأحوال الدينية للمسلمين بعد استقلال البلاد.

وفي الباب الأخير الخامس كشف الباحث النقاب عن الحركات والفئات المتطرفة، وما قامت من أعمال عدوانية ضد الإسلام والمسلمين وما تحيك من مكيدات ومؤامرات ضده، وما تتدخل في شئون المسلمين الدينية، ودستورهم وشريعتهم، فكشف الستار عن وجوهها وأوضح الحقائق حول الدستور والشريعة الإسلامية، كما أنه من المعلوم المقرر أن قوانين الأحوال الشخصية الإسلامية لها أهمية قصوى وخاصة في بلاد تعيش فيها أقليات عديدة وحضارات متنوعة، ونظراً إلى المسلمين تزداد هذه الأهمية لأنهم مطالبون بالعمل على شريعتهم في معنى الكلمة، فهاهنا أشار إلى إنشاء هيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند وهي هيئة منظمة قوية تعمل في صالح الإسلام والمسلمين في البلاد الهندية، وتدافع عن مثل هذه القوات العدائية التي تحيك الحبائل ضد الإسلام، ولا يخفى على الدارسين والباحثين أن قوانين الإسلام تتسم بالاتزان والاعتدال وهي تراعي الحقوق الأساسية الفطرية للإنسان، وإن هذه المنظمة والهيئة تحظى بالقبول في جميع الأوساط والفئات الإسلامية، فقد نشط فيها علماؤنا من ممثلي المذاهب الفقهية العديدة، وأعضاؤها العاملون لا يزالون يقومون باسترداد الحقوق الأساسية للمسلمين من خلال المحاكم ودور التشريع؛ كما درس الباحث قضية القانون المدني الموحد التي تثيرها الحركات المتطرفة العدوانية منذ استقلال البلاد، وهذه الفكرة لتطبيق القانون المدني الموحد على جميع الطبقات والأقليات جاءت من بعض الزعماء البرلمانيين بغض النظر عن حقوقهم الدستورية الأساسية.

رابطة الأدب الإسلامي العالمية تعقد ندوة أدبية

حول : منهج الأدب الإسلامي في أدب الأطفال

(توصيات الندوة) مكتب الرابطة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض عقد المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في المملكة العربية السعودية ندوة عالمية بعنوان : (منهج الأدب الإسلامي في أدب الأطفال) في مركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة بمدينة الرياض ؛ في المدة من ١-٣/صفر ١٤٢٧هـ الموافق ١-٣/مارس ٢٠٠٦م .

وناب عن صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز ، معالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الأستاذ الدكتور محمد بن سعد السالم في افتتاح أعمال الندوة .

وتضمنت الندوة حفلاً افتتاحياً وأربع جلسات عمل ، نوقشت فيها البحوث المقدمة للندوة ، وشارك في أعمال الندوة عدد من المختصين في أدب الأطفال ، من كل من مصر ، والأردن ، وسوريا ، والكويت ، والسودان بالإضافة إلى عدد من المختصين من داخل المملكة .

وقرر المجتمعون رفع برقية شكر وتقدير لخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز لصدور الموافقة السامية على عقد هذه الندوة العالمية في المملكة العربية السعودية ، والتنويه بدور المملكة في تعزيز الأدب الإسلامي ورعايته ، وتهنئة المملكة قيادةً

وشعباً بمنجزات رجل الأمن في التصدي للفئة الضالة وحماية البلاد من شرورها .

كما قرر المجتمعون رفع برقية شكر وتقدير لصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض لدعمه المتواصل للمكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي في المملكة ، ورعايته الكريمة للندوة .

وقد أوصى المجتمعون بما يلي :

١- تأصيل أدب الطفل المسلم لتعزيز القيم الإيمانية والوطنية والاجتماعية فيه وحمايته من الانحراف والتيارات التغريبية الوافدة .

٢- الاعتماد على القرآن الكريم والسنة والنبوية ، والإفادة من التراث الإسلامي واتخاذه مصدراً رئيسياً لأدب الطفل المسلم .

٣- الإفادة من التقنيات المتقدمة للأدب العالمي للطفل بما لا يتعارض مع عقيدتنا وقيمنا الإسلامية .

٤- العناية باستخدام أحدث الوسائل التقنية الحديثة في إخراج وإنتاج الأعمال الثقافية للطفل المسلم كالبرامج الحاسوبية والرسوم المتحركة ، والأفلام ، والنشر الإلكتروني ، والمواقع المعروضة على شبكة الإنترنت .

٥- العناية بالجوانب الفنية للأعمال الأدبية المخرجة للأطفال من حيث جودة الطباعة وتزويدها بالرسومات والصور المناسبة .

٦- التركيز على جوانب التفاؤل والأمل في مضمونات أدب الطفل المسلم .

٧- تفعيل إبداع الأطفال ورعاية مواهبهم وتشجيعهم بالحوافز المناسبة .

٨- التأكيد على الالتزام باللغة العربية الفصحى في الأعمال

الأدبية والفنية بما يناسب أعمارهم .

٩- حث الأدباء المبدعين لأدب الطفل المسلم على توطيد الصلة بوسائل الإعلام وتقديم النصوص التي ترتقي بما تنتجه من برامج .

١٠- حث الأدباء الإسلاميين المتخصصين في أدب الطفل على الاهتمام بالمناهج التربوية السليمة ومنجزات علم النفس في تطوير إبداعهم .

١١- الاهتمام بالبيئة المحلية للطفل المسلم لترسيخ علاقته بها .

١٢- مراعاة المستويات العمرية المختلفة للأطفال عند كتابة النص الأدبي الموجه إليهم ، وذكرها على المنتج .

١٣- الإفادة من البيئة الفطرية وعناصرها ، الحيوان والجماد والنبات ، في أدب الطفل المسلم وربطهما بالقيم الإيمانية .

١٤- التواصل مع القنوات المتخصصة ببرامج الأطفال ومؤسسات الإنتاج الفني وتشجيع الاستثمار في هذا المجال .

١٥- إنشاء جوائز سنوية في فروع أدب الطفل المسلم والعمل على رعايتها من جهات رسمية وأهلية ، وتنظيم مسابقات دورية لها .

١٦- العمل على إنشاء أقسام علمية لأدب الطفل في الكليات الأدبية واستحداث مواد متخصصة في أدب الطفل ، و وضع مناهج مناسبة لها .

١٧- العناية بالأطفال ذوي الحاجات الخاصة ، وإنتاج أعمال أدبية مناسبة لأوضاعهم .

١٨- حث وسائل الإعلام على الاستفادة من نصوص أدب الطفل المسلم في إنتاج أعمال فنية متميزة .

١٩- إعداد دليل شامل لأدب الطفل المسلم (ببليوغرافيا) في

جانبيه : الإبداع والدراسات ، وتحديثه دورياً لاستيعاب المستجدات في هذا الميدان .

٢٠- تكوين لجنة في رابطة الأدب الإسلامي العالمية لمتابعة تنفيذ التوصيات والإعداد لعقد ندوات دورية في أدب الطفل المسلم بالتعاون مع الجامعات والهيئات العلمية المختصة .

وبعد :

فإن المجتمعين إذ يستنكرون الإساءة إلى رسول الله ﷺ يشاركون الأمة الإسلامية موقفها الذي دل على وحدة الأمة وغيرتها على حرمة خاتم الأنبياء ، ويشيدون بموقف المملكة العربية السعودية الرائد حيال هذا الاعتداء الأثم .

وفي ختام أعمال الندوة يتقدم المجتمعون بالشكر والتقدير لكل من :

١- معالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الأستاذ الدكتور محمد بن سعد السالم على افتتاحه الندوة نيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز ولما تقدمه الجامعة من دعم ورعاية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية .

٢- مركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة على استضافته الندوة وتقديم كل ما يسهل عملها .

وختمت الندوة أعمالها بما بدأت به من حمد الله والصلاة والسلام على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه .

***

إلى رحمة الله تعالى :

البروفيسور إقبال وارث الندوي الأنصاري في ذمة الله تعالى

قلم التحرير

استأثرت رحمة الله تعالى بالأستاذ إقبال وارث الأنصاري الندوي يوم السبت الثامن عشر من شهر مارس ٢٠٠٦م الموافق ١٧/من شهر صفر ١٤٢٧هـ ، في منزله بمدينة عليكره ، وذلك بعد علة طويلة جعلته طريح الفراش إلى مدة ، وهو من أبناء ندوة العلماء القدامى من جيل تلاميذ سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندويؒ، كان من الأساتذة البارزين للعلوم الإسلامية في جامعة عليكره الإسلامية ، وكان معروفاً بثقافته الواسعة ونظرته السليمة الموضوعية في مجال التعليم والتربية ، وقد مثل فكرة الندوة الشاملة في جامعة عليكره ، فكان يدعى إلى الندوات العلمية والأدبية في جامعات الهند الكبرى والمراكز العلمية الشهيرة في هذه البلاد ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان علاقته بندوة العلماء ورجالها ولا سيما بأستاذه سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندويؒ وطيدة مخلصة ، فطالما كان يزورها ويقضي بعض الوقت معه في رحاب دار العلوم ومكتبة العلامة شبلي النعماني ، كان يثنى على الصحافة الإسلامية العربية والأردية التي تبنتها ندوة العلماء منذ تاريخها المبكر ، فكان مشتركاً في مجلة "البعث الإسلامي" من أول عددها ، وكذلك كان حريصاً على اقتناء جميع الصحف التي تصدر من مؤسسة الصحافة والنشر لندوة العلماء ، والكتب والمنشورات التي ينشرها المجمع الإسلامي العلمي بندوة العلماء .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته ، وغفرله زلاته ، وأدخله فسيح جناته ،

والهم أهله وذويه الصبر والسلوان ، فإن الله تعالى هو الغفور الرحيم .

رحيل الشيخ عبد اللطيف الشايع في ألكويت إلى رحمة الله تعالى

نعت الأنباء الآتية من الكويت الرجل الخيّر الشيخ عبد اللطيف الشايع ، الذي قام بدور ريادي في مجال الخير والإحسان في بلده وتعريف الكويت ببلد الخيرات والمبرات ، فكان يساعد المراكز التعليمية والدعوية ويخصها بمبراته على مستوى العالم ، وكانت الوفود التي تزور دولة الكويت تستفيد من تبرعاته السخية ، وعطائه الخيري ، وقد وفقه الله تعالى للإنفاق في سبيله وجعله عادة راسخة في حياته فكان مؤسس الخير ، معروفاً به في جميع الأوساط الدينية والتعليمية .

توفي يوم الخميس غرة صفر ١٤٢٧هـ الموافق ٢/من شهر مارس ٢٠٠٦م عن عمر يناهز ٨٥/عاماً ، حافل بالخير والعلم والدين والدعوة إلى الله ونشر تعاليم الكتاب والسنة مع ما أكرمه به من التواضع ومكارم الأخلاق وحب الدين وتربية الجيل على تعاليم الكتاب والسنة .

كان من رجالات الكويت البارزين ومن علمائها الراسخين في العلم ، وذا صلة بعلماء الدين في العالم ، وعلماء بلده والعاملين في مجال الدعوة والتوجيه الديني والاجتماعي ، ومن كبار تجار الكويت الأقدمين ، وقد توسعت تجارته وشملت العالم الإسلامي كله ، فكان مثالاً للتاجر المؤمن الأمين الذي تميز بالبذل والعطاء في جميع وجوه الخير . إنا لله وإنا إليه راجعون .

خلفت وفاته فراغاً كبيراً، في هذه المجالات كلها نرجو الله سبحانه وتعالى أن يملأ ذلك بفضله ويخلفه من أنجاله من ينوب عنه في جميع أعماله ونشاطاته ، وما ذلك على الله بعزيز .

جزاه الله تعالى عن مآثره ومبراته بأحسن ما يجزي به العاملين المخلصين ، ويتغمده بواسع رحمته ، ويغفر له ويكرم مثواه مع النبيين

والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

المستشار سالم البهنساوي في ذمة الله تعالى

المستشار سالم البهنساوي الداعية إلى الله ، توفي يوم الجمعة ٢/من شهر صفر ١٤٢٧هـ الموافق ٣/من مارس ٢٠٠٦م في جمهورية أذربيجان في روسيا خلال قيامه هناك بتعريف الإسلام وبعمل الدعوة إلى الله ، نقل جثمانه إلى الكويت حيث صُلي عليه فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم ينتمي إلى جمهورية مصر العربية ولكنه كان قائماً بعملٍ الدعوة إلى الله ، والمساهمة في عمل قانون الهيئة العامة لشئون القصّر ، وكمستشار لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، ومستشار في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، في الكويت .

وقد أشاد بعمله الدعوي ومواقفه الممتازة في مجال العمل الإسلامي كثير من أهل العلم والدعوة ، يقول الدكتور عبد الله سليمان العتيقي أمين سرّ جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت :

"وافته المنية وهو قائم على أشرف عمل وهو الدعوة إلى الله تعالى ، رحمه الله رحمة واسعة ، وجعله قدوة للدعاة ولكل مسلم في بذل ماله وقلمه وتخصصه وعلمه ونفسه في سبيل الله تعالى ونشر دينه في الأرض ، وثباته على طريق الدعوة والحركة الإسلامية ، حتى آخر رمق ونفس من حياته ، جمعنا الله معه في مستقر رحمته وأسكنه في فسيح جناته في الفردوس الأعلى وألهمنا وذويه الصبر والسلوان" .

خلف الفقيد وراءه مؤلفات قيمة علمية ودعوية تبلغ إلى عشرين مؤلفاً ، منها : (تهافت العلمانية في الصحافة العربية) و (قوانين الأسرة) (مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية) (الغزو الفكري للتاريخ والسيرة) (الحكم وقضية تكفير المسلم) (الخلافة الراشدة بين الشورى والديمقراطية) رحمه الله وغفر له ، وأدخله فسيح جناته (آمين) .

البعث الإسلامي
ندوة العلماء
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)
هاتف : ٢٧٤١٢٣٥-٢٧٤١٢٧٢
رقم الفاكس : ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١-٠٥٢٢

ALBAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA
P.O.Box No. 93, Lucknow (India)
Phone:2741235-2741272
Fax:0522-2741221-2741231

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم ! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

و بعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعون من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم و مجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٤٨/عاما بالاستمرار ، وهي الآن في عامها التاسع والأربعين – والحمد لله – .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جدا ، وبتكلفة باهظة ، وهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي منكم ، وببذل شئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI) .

يلغون لتلي :
مكتب "البعث الإسلامي"
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة لعلماء -- ص. ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم المخلص
سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ص. ب٩٣ – مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة لعلماء – لكناؤ (الهند)